ثلاثة وعشرون هدفًا عظيمًا لبناءِ بيت اللّه

حضرة الحافظ مرزا ناصر أحمد رحمه اللّه تعالى

الخليفة الثالث للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: محمد أحمد نعيم

ISLAM INTERNATIONAL PUBLICATIONS LTD

اسم الكتاب: ثلاثةٌ وعشرون هدفًا عظيمًا لبناء بيت الله

الطبعة الأولى: ١٤٤٨هـ الموافق لـ ٢٠٢٦م

An Arabic rendering of

Ta'meer Baitullah ke 23 Azeemush-shaan Maqaasid

by

Hazrat Hafiz Mirza Nasir Ahmad

Khalifatul-Masih III, (may Allah have mercy on him)

Translated from Urdu by: Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:
Islam International Publications Ltd.
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252821796
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-819-5

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

١	مقدمة الناشر	أ
٢	ثلاثة وعشرون هدفًا عظيمًا من تجديد بناء بيت الله عن طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام	١
٣	الأهداف التي لها علاقة ببناء بيت الله ترتبط ارتباطًا وثيقًا ببعثة النبي ﷺ	١٧
٤	أنيطت المنافع الدينية والمادية لجميع أمم العالم ببيت الله	٣٣
٥	ظهور بركات كعبة الله العالمية من خلال بعثة النبي ﷺ	٥٣
٦	إن بيت الله منبع للآيات البينات والتأييدات السماوية التي ستدوم للأبد	٧٣
٧	الوعد الإلهي بإقامة الوحدة العالمية من خلال جمع أمم العالم على مركز توحيد واحد	٩٣
٨	إن بيت الله مركز لإحراز الطهارة الروحانية والمادية وترويجها	١١١
٩	لا تضيع أعمال الذين يضحّون ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى	١٢٩
١٠	إقامة الأمة المسلمة بواسطة النبي الأكرم ﷺ	١٤٩
١١	لقد تحققت جميع الأهداف من بناء بيت الله بواسطة بعثة الرسول الكريم ﷺ	١٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

لقد تناول سيدنا الحافظ مرزا ناصر أحمد، رحمه الله تعالى، الخليفة الثالث للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، في عدد من خطبه بيان ثلاثة وعشرين هدفًا عظيمًا من تجديد بناء بيت الله العتيق على يد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. وكان غرضه الشريف من بيان هذه الأهداف أن تبقى ماثلة دائمًا أمام أعين الأمة الإسلامية، بحيث يسعى كل فرد فيها جاهدًا إلى تحقيقها في حياته اليومية.

يسرّنا أن نقدم هذه الخطب الثمينة إلى الإخوة العرب في صورة مجموعة مطبوعة ومرتبة. ومن الواجب على كل واحد منا أن يقرأها بعناية، ويستحضر المواضيع المهمة الواردة فيها، وأن نسعى جميعًا بجد وإخلاص لتحقيق هذه الأهداف العظيمة في حياتنا، وبشكل منتظم ومستمر.

تشرف بتعريبها الداعية الإسلامي الأحمدي السيد محمد أحمد نعيم وأسهم في مراجعتها وإخراجها الإخوة من المكتب العربي وعدد من الإخوة الأحمديين العرب، ولاسيما د. وسام البراقي، د. نور البراقي، د. سلام البراقي، حسام النقيب، د. أسامة عبد العظيم، والمهندس أبو حيان، فجزاهم الله تعالى أحسن الجزاء وتقبل منهم هذه الخدمة، وجعل هذا الكتيب نافعا للكثيرين، آمين.

الناشر

ثلاثة وعشرون هدفا عظيمًا
من تجديد بناء بيت الله
عن طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٣/٣١

لقد جدد الله ﷻ بناء بيت الله بواسطة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأخذ منه العهد أن يحقق هو ونسلُه– بوقف حياتهم لمدة طويلة– المسؤوليات التي لها علاقة ببناء بيت الله، وأنهم سيسعون بالتدبير والدعاء لأن يوفق الله ذريتهم لقبول النبي المشرع الأخير حين يبعثه الله ﷻ إلى العالم ويقدموا بعد قبول الإسلام أكبر تضحية تُطلب من تلك الأمة في سبيل الله لإعلاء اسمه تعالى.

ترتبط ببيت الله عدة أغراض وغايات نقرؤها في القرآن الكريم، ولها علاقة في الحقيقة ببعثة النبي الأكرم ﷺ.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧-٩٨)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٦-١٣٠)

كنت قد بدأت موضوعي هذا يومَ عيد الأضحى، وأخبرتكم أن الله ﷻ جدد بناء بيت الله بواسطة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأخذ منه العهد أنه هو ونسلُه سوف يحققون- بوقف حياتهم لمدة طويلة- المسؤوليات التي لها علاقة ببناء بيت الله، وأنهم سيسعون بالتدبير والدعاء لأن يوفق الله ذريتهم لأن يقبلوا النبي المشرع الأخير حين يبعثه الله ﷻ إلى العالم، وأنهم لن يتورعوا - بعد قبول الإسلام- عن تقديم أكبر تضحية تُطلب من تلك الأمة في سبيل الله لإعلاء اسم الله تعالى.

كنت قد بينت أنه ترتبط ببيت الله عدة أغراض وغايات نقرأها في القرآن الكريم، ولها علاقة في الحقيقة ببعثة النبي الأكرم ﷺ.

حين نتدبر هذه الآيات التي تلوتها عليكم الآن نجد فيها الأهداف التالية، التي من أجلها أمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بتجديد بناء بيت الله وظل يطلب التضحيات من سيدنا إبراهيم عليه السلام ونسلِه لمدة ألفين وخمسائة سنة تقريبا.

الهدف الأول ذُكر في ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾

والثاني في ﴿مُبَارَكًا﴾

والثالث في ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

والرابع في ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾

والخامس في ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾

والسادس في ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

والسابع في ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

والثامن في ﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾

والتاسع في ﴿وَأَمْنًا﴾

والعاشر في ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

والهدف الحادي عشر ذُكر في ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾

والهدف الثاني عشر في لفظ ﴿الطَّائِفِين﴾

والهدف الثالث عشر ذُكر في لفظ ﴿الْعَاكِفِينَ﴾

والهدف الرابع عشر ذكر في ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

والهدف الخامس عشر ذكر في ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾

والهدف السادس عشر ذكر في ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾

والهدف السابع عشر ورد في ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾

والهدف الثامن عشر في ﴿السَّمِيعُ﴾

والهدف التاسع عشر ذكر في ﴿الْعَلِيمُ﴾

والهدف العشرون ذكر في ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾

والهدف الحادي والعشرون ذكر في ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾

والهدف الثاني والعشرون ذكر في ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾

والهدف الثالث والعشرون ذكر في ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾

يقول الله تعالى:

إن أول بيت وضع للناس، أي أول بيت بني للناس هو بمكة. ولقد استنتجت من المدلول الوارد في شتى آيات القرآن الكريم والروايات المختلفة أنه حين وُلد آدمُنا وبُعث (ولقد استخدمتُ كلمة "آدمنا" لأن النبي ﷺ

قد قال إنه قد خُلق في العالم قرابة مئة ألف آدم، قبل آدمِنا، وبعض أولياء الأمة قد رأوا أولادَ أولئك الأوادم في الكشوف، وذكروا ذلك في كتبهم) وكان سكان العالم يسكنون يومذاك في منطقة صغيرة من الأرض. فأوحى الله- لحكمته الكاملة- إلى آدم أن يبني بيت الله من أجل الناس كلهم في ذلك العصر، وربط علاقة ذلك البيت بالناس كلِّهم الذين كانوا من سلالة ذلك الآدم. ولاحقا حين ازداد هذا النسل وانتشروا وعمروا شتى مناطق العالم بدأ الله ﷻ يبعث نبيا خاصا بكل منطقة وقوم نظرا لتطورهم الروحاني والفكري، لكي يسعى كل نبي أن يسيِّرهم على السبل التي بالسير عليها يمكن أن يؤدي العبد حق عبوديته ومقتضياتها بحسب كفاءاته. ونجد في الأحاديث أيضا أنه قد خلا في هذا العالم نيف ومئة ألف نبي. فآدم الذي كان أولادُه قد كثروا وانتشروا وتفرقوا وصاروا أقواما وشعوبا وكان لكل شعب وقوم نبيٌّ، أهملوا الاهتمام بهذا البيت الذي كان بيت الله وكان قد وُضع للناس كلهم، وأهملوه لدرجة قد انمحت حتى آثاره بمرور الوقت وحوادث الدهر ولعدم ترميمه والاعتناء به. لكنه حين آنَ أوان تحقُّق مشيئة الله تعالى في جمعهم من جديد على دين واحد، قرر الله ﷻ أن يوقف سيدُنا إبراهيم عليه السلام ونسلُه حياتهم لبناء هذا البيت من جديد وحمايته لكي ينشأ قومٌ لهم علاقة بهذا البيت، وهم يتمتعون بكل الكفاءات التي يجب توفرها في أمة هي أول مخاطَب للنبي ﷺ والقرآن الكريم. فمن خلال الأدعية ووقف الحياة لمدة ٢٥٠٠ سنة قد نشأت أمةٌ تتمتع بجميع الكفاءات التي تمكِّنها من قيادة بني البشر وتوجيههم في المجالات الروحانية

إذا صارت لله ﷻ. فلما كانت تلك الكفاءات والقدرات قد بلغت كمالها، كان هناك احتمال أن تظهر فتنة عظيمة نتيجة سوء استخدامها، لذا قد عارضوا النبيَّ ﷺ بشراسة- ما داموا ضالين- وآذَوه واضطهدوه اضطهادا لم يسبق له نظير في أمم الأنبياء السابقين، باختصار كانوا يملكون قدرات خارقة، وقد ظلت كامنة فيهم لمدة، وظل الشيطان يستولي عليها. فلما استيقظت تلك الكفاءات الراقدة وعرفوا ربهم، رأى العالم مشهدا لتقديم التضحيات في سبيل الله ﷻ التي لم يشهدها العالم من قبل مطلقا. باختصار كانت أمة قد نشأت نتيجة تضحيات سيدنا إبراهيم عليه السلام وأدعيته وتضحيات نسله وأدعيتهم.

باختصار إن مدلول ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ بمعناه الحقيقي يتعلق بالنبي ﷺ، كما أن جميع الأغراض والغايات من بناء بيت الله تتعلق في الحقيقة بالنبي ﷺ حصرا، لكن الله ﷻ كان قد أخبر إبراهيم عليه السلام أنه أمَره ببناء بيته هذا من جديد من أجل تحقق هذه الأغراض، وهذا يتطلب منه تقديم التضحيات.

باختصار إن **الهدف الأول** الذي له علاقة بالكعبة هو أن بيت الله هذا هو أول بيت وَضع الله فيه المنافع الدينية والمادية لجميع بني البشر، فقد وُضع للناس، أي: قد بُني لمنفعة جميع بني البشر. فمن هذا البيت سوف تنال شعوبُ العالم المنافعَ المادية والدينية أيضا دون تمييز في اللون والنسل وبغضّ النظر عن المميزات التي تفصل البعض عن الآخر. فهذا هو الهدف الأول من بناء هذا البيت من جديد.

والهدف الثاني من بناء بيت الله أننا نريد أن نجعل بيتنا هذا ﴿مُبَارَكًا﴾، والمبارك هو مكان منخفض تجتمع فيه مياه المطر من كل الأطراف. فلما كان الله ﷻ لا يتكلم هنا عن موضوع المطر، بل إنَّ الحديث يجري حول رقي الإنسان الديني والمادي ورفاهيته، لذا فالمبارك هنا له معنيان. أولا أن ممثلي جميع شعوب العالم سوف يجتمعون في هذا البيت بانتظام، وثانيا أننا أمَرنا ببيت الله وقررنا إعمارَه، لأنه سيُبعث هنا النبي الحامل للشريعة الأخيرة، التي تتضمن جميع أنواع الهدى والحقائق الروحانية التي تتواجد في شرائع الأمم المختلفة متفرقةً، وهي سوف تشملها، ولن تبقى أي حقيقة خارجة عن نطاق هذه الشريعة.

فقال إننا نريد أن نجعل بيت الله هذا مباركا روحانيا. وغايتنا أنه سيكون مولد شريعة تشمل جميع الهدايات الموجودة في شرائع جميع الأنبياء متفرقةً، وستكون معه بركةٌ أيضا. أي ستتوفر فيها جميع الحقائق التي لم تكن ضرورية للسابقين، ولم يكونوا يتحملونها، وستكون شريعة كاملة وشاملة. وستقام لنفع جميع الأمم. وأن بيت الله هذا سيكون أمَّ القرى لتلك الشريعة الكاملة والشاملة والأبدية.

الهدف الثالث لبناء بيت الله قد ورد في ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾. ضعوا في البال أن في بداية هذه الآيات ذُكر أنه وُضع للناس، أي أننا نبني هذا البيت للدنيا كلِّها ولجميع الأقوام وجميع الأزمان، وقد كرر الله ﷻ في هذه الآيات أن لهذا البيت علاقة بجميع الأمم والشعوب. فقال إن الهدف الثالث من بناء هذا البيت أنه هدى للعالمين، أي قد بني ليكون هداية للعالمين جميعا. ففي

كلمة "هُدًى" أيضا إشارة إلى العالمين، لأن الهدى هو العقل والفراسة والعلم والمعارف التي يشترك فيها الناس كلُّهم. فبدون ذلك لا تتقدم العلوم الروحانية، لأن الذي ليس له عقل مثلا يعدّ مجنونا ويقال له: مرفوع عنه القلم، أي لم يعد مكلَّفا بالشريعة. باختصار إن العقل هو أساس للشريعة ولجميع المعاني التي تعنيها كلمةُ الهدى هذه. فقد قال الله ﷻ هنا إننا بهذا البيت سوف نثبت أن جميع أقوام العالم من حيث العقل والفراسة والمعارف والعلوم تتمتع بكفاءة مماثلة، فليس لأي قوم فضلٌ على قوم آخر من هذا المنطلق.

وفي هذا إشارة أيضا أنه عندما ستتجلى ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ على العالم في الحقيقة، أي بعد بعثة النبي ﷺ ستظهر في العالم أقوامٌ تقول نحن أكثر عقلا من غيرنا، ونحن نملك الفراسة وكفاءة الحصول على العلوم أكثر من الآخرين وأن الله قد خلق بعض الأقوام فقط لنحكمها. يقول الله ﷻ إننا سنُثبت من هذا البيت أنه لا ينبغي التفريق بين قوم وقوم من حيث العقل والفراسة والعلوم الأساسية. لقد خلق الله ﷻ الناس كلَّهم لعبادته، والعقل والفراسة والمعارف والعلوم التي كان الناس يحتاجونها لنيل هذا الغرض قد وهبها الله ﷻ للناس جميعا على حدٍّ سواء. أي فيهم كفاءات متساوية، وصحيح أن كفاءات الأشخاص والأفراد متفاوتة، أما الأمم والأقوام فليس لأحدها فضلٌ على غيرها.

والمعنى الثاني لـ ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أن الله ﷻ سيبدأ تنزيل القرآن الكريم من مقام بيت الله هذا، فقد ورد في المفردات للراغب، أن من معاني الهداية، الهداية السماوية التي دعا الله إليها بني نوع الإنسان من خلال

الأنبياء وأخيرا بإنزال القرآن الكريم أن تعالوا إلى هنا فهذه هي سبل الهدى التي بالسير عليها يمكنكم الوصول إلي. ففي معنى الهداية يشترك سيدنا محمد رسول الله ﷺ مع سائر الأنبياء على حدٍّ سواء، أما معنى "هدى للعالمين" فلا يتحقق في الحقيقة في أي نبي غير النبي ﷺ لأن غيره من الأنبياء كانوا مبعوثين لأزمنة خاصة وأمم معينة. فقد قال الله ﷻ هنا، إن بيت الله هذا مكان لنزول القرآن الكريم، ومن هنا سيبدأ نزول القرآن الكريم، ولهذا السبب نحفظه وندبر تطهيره وغير ذلك.

المعنى الثالث لـ ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أن الله ﷻ قد قال إن بيت الله هذا مكان ستبدأ فيه الشريعة التي ستفتح على الإنسان أبوابا لترقيات لا حصر لها. لأن المعنى الثالث للهداية، في رأي الإمام الراغب، أن الإنسان حين يعمل أعمالا صالحة بالسلوك على سبل الهدى فإن الله ﷻ بفضله يوفقه للاهتداء أكثر، فنتيجة لكل عمل صالح يوفَّق الإنسان لعمل أفضل منه وأحب إلى الله، أي يوفق الإنسان للسير على مدارج الرقي الروحاني تدريجا. وبذلك ستفتح على هذه الأمة أبواب ترقيات لا حصر لها. ومن حيث المعنى الرابع لـ ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ قال ﷻ إن الهدف من بناء هذا البيت هو خلْق أمة مسلمة، تنال من الله إنعامات لم تفزْ بها أي أمة من قبل، وأن الإنسان سيظل يحظى بالثواب الكامل والأكمل وينالُ أفضال الله ﷻ ورحماته، لأن المعنى الرابع الذي بيَّنه الإمام الراغب للهداية هو: "الهداية في الآخرة إلى الجنة". فلما كانت الجنة لا تُنال إلا في الآخرة، لذا قد أضاف كلمة "في الآخرة" من عنده- في رأيي-، وإلا فالمعنى من

حيث اللغة هو "الهداية إلى الجنة"، أي سيحقق الغاية التي من أجلها قد خلق الإنسان. فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم إن هذه الجنة لن تكون في الحياة الآخرة فقط، بل تُنال في هذه الحياة المادية أيضا. فقد قال الله ﷻ هنا إننا نقيم بيت الله ونهيء الوسائل المناسبة لحفظه. لأنه ستنشأ هنا أمةٌ لن تكون الأمم السابقة قد حظيتْ بالثواب والجزاء وجنة رضوان الله التي ستنالها. أي ستظهر لأعمال تلك الأمة أفضل نتيجة ممكنة لعمل صالح إنساني. وذلك لأن الشريعة التي تُعطاها هي كاملة وشاملة من كل النواحي. فلما كانت شرائع السابقين ناقصة نسبيا، لذا فحتى لو عمل بها الناس بصورة كاملة ما كانت لتظهر لها – عقلا – النتيجة التي يمكن أن تظهر للعمل بالشريعة الكاملة. فقد قال الله ﷻ هنا ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أي من هذا البيت ستصدر شريعة عالمية ينال الإنسان بالعمل بها "الجنةَ"– أي الجنة الكاملة– في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضا. فالغاية الثالثة (التي تنقسم إلى غايات فرعية أخرى) لبناء بيت الله هي ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾.

الهدف الرابع لبناء هذا البيت ذُكر أن فيه ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ونستشف من قراءة القرآن الكريم أنه وعد الإنسان نوعا خاصا من الآيات البينات، أو يتنبأ عن ظهورها. ورأيي أن ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ هنا ليست بمعناها العام، بل المراد منها تلك الآيات البينات التي لها علاقة بهذا البيت الأول الذي ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ والذي هو ﴿مُبَارَكًا﴾ و﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ أيضا. وبعد بيان هذا المدلول قال الله ﷻ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ومعناه هنا أنه ستكون

هناك آيات وبينات لها علاقة بهذا البيت وأن هذا البيت سيصبح منبع الآيات والتأييدات السماوية التي ستدوم. إذ إن الآيات والبينات التي أُعطيَها الأنبياء السابقون أو أممهم قد انتهت في موعدها، وكل واحدة من الأمم السابقة قد ادَّعت بعد البحث عن دليل منطقي وغير مقنع أنه يستحيل إنشاء العلاقة بالله التي ببركتها ينال الإنسان قربَه ﷻ ويتلقى وحيَه والرؤى والكشوف الصادقة والأنباء عن المستقبل. إذن قد أَغلقت كل أمة سابقة أبواب القرب هذه. يقول الله ﷻ إن بناء هذا البيت يهدف إلى بناء أمة مسلمة ستظهر آياتُ الله ﷻ بواسطتهم إلى يوم القيامة، وأنها من خلال آياتها وإجابة دعواتها والفوز بثمار تضحياتها ستظل تُثبت للعالم أن لهذا الكون خالقًا وهو إله واحد، وإله قوي، وهو رحمن ومحب ولطيف جدا، وهو لا يُضيع العباد الذين يُنيبون إليه، بل يقيم العلاقة بهم. ويوحي إليهم، ويريهم الرؤى والكشوف، ويتقبل دعواتهم إقامةً لشرفهم وكرامتهم في العالم وإخبارًا للعالم أنهم عبادُه الأعزة. وأن أمْثال هؤلاء العباد سيظلون يُخلقون في هذه الأمة، ليُثبتوا للعالم إلى يوم القيامة أن إلهنا إله حيٌّ، وأن الذين ينشئون العلاقة به يفوزون بآيات بينات.

الهدف الخامس الذي بيَّنه الله ﷻ لبناء هذا البيت أنه ﴿مَقَام إِبْرَاهِيمَ﴾. فقد قال الله ﷻ هنا إن عبدنا إبراهيم (عليه السلام) وكثيرين من نسله قد رَفعوا هتافَ ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على شاكلة العاشق الصادق والمحب المخلص بانقطاعهم عن أنفسهم وغرقًا في عشق الله وحبه وتركوا أسوة للعالم. ولقد دبَّرنا إعمار بيت الله هذا لكي تظل بواسطته تُخلَق جماعةُ

عشاق الله ﷻ التي ستحرز مقام الفناء في الله برفْع جميع الحجب وقطْع جميع العلائق بالعالم والإعراض عنه والتخلي عن جميع رغباتها ابتغاء وجه الله والتضحية بجميع الأمنيات، وأن يقوموا على أحسن وأكمل وجه، بالعبادة التي لها علاقة بالحب والإيثار. لقد وضَّح سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام أن العبادة نوعان، أحدهما العبادة التي تقوم على أُسس التذلل والتواضع، وهناك عبادة تقوم على أُسس الحب والقربان. فصلاتُنا من نوع العبادة التي تقوم على مقام التذلل والتواضع. لأن النبي ﷺ قد قال إن الصلاة هي الدعاء، والدعاء يتطلب منتهى التذلل والتواضع. فالذي في دماغه ذرة من التكبر مقابل إلهه يستحيل أن يجاب دعاؤه. فصلواتنا لا تكون عبادة إلا إذا كانت تصدر بالتذلل والتواضع في الحقيقة. ومقابلها عبادةٌ أخرى تقوم على أُسس الحب والإيثار. وإن عبادة سيدنا إبراهيم عليه السلام التي لها علاقة ببناء الكعبة، وحماية الكعبة والتي لها علاقة بوقف حياته وحياة أولاده والدعاء من أجل ذلك، هي عبادة الحب. وإن إظهار إبراهيم عليه السلام الحبَّ والعشق لله ﷻ كان منقطع النظير. يقول الله ﷻ إن هذا هو مقام إبراهيم، ومن هذا المقام سنَخلق أمة يكون عددُ أعضائها ملايين وستوجد في كل عصر. وإنكم إذا قارنتم قُربان تلك الأمة بقربان إبراهيم عليه السلام فلن تجدوه أقل منه شأنا.

كانت تلك الأمة ستُخلق ببركة القوة القدسية للنبي ﷺ، إلا أنه قد وُضع أساس الكعبة من جديد قبل ٢٥٠٠ سنة تقريبا من أجل نشر آثار هذه القوة القدسية في العالم بأسلوب مؤثر. فقال هنا إن الشكل الظاهر لمناسك الحج وهذه العبادة بحد ذاتها يتعلق بالحب. ففكرة الطواف مثلا

توجد تقريبا في جميع أقوام العالم، فالناس حين يريدون فداء الحياة لأحد يطوفون حوله. فقد ورد عن بعض ملوكنا أيضا، أن ابن أحدهم كان مريضا فطاف حوله ودعا الله ﷻ أن يهب حياته لابنه. فلفكرة التضحية بالحياة علاقة عميقة بالطواف. باختصار قد قال الله ﷻ هنا إنه سيخلق من هنا أمةً تظل تطوف حول حبيبها كل حين وآن، وستظل تُقبِّل أعتابه. فمن ناحية ستحيي ذكرى إبراهيم عليه السلام، ومن ناحية أخرى ستُظهر القوة القدسية لمحمد رسول الله ﷺ بمنتهى العظمة، فلم يخلق الله ﷻ أمةً من هذا القبيل في العصر الأول وفي سكان العرب فقط، بل في كل بقاع العالم في كل زمان إلى يوم القيامة، تكنّ لربها العشق والحب الذي كان يكنّه إبراهيمُ عليه السلام لربه، وسوف يقدمون في سبيله ﷻ كل نوع من التضحيات.

(نقلا عن جريدة الفضل اليومية، ربوة، ١٩٦٧/٤/٢٣)

الأهداف التي لها علاقة
ببناء بيت الله
ترتبط ارتباطا وثيقًا ببعثة النبي ﷺ

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٤/٧

لقد بنى الله ﷻ بيتا لمنفعة بني البشر كلهم، لكنهم لم يعرفوا عظمته، مما أدى إلى دماره، وانمحى أثره، ثم إن الله من خلال وحيه دلَّ إبراهيم عليه السلام على آثاره وأمره بتجديده، ولحفظه وإقامة عظمته دبر بأمر إبراهيم عليه السلام أن يوقف حياته وحياة نسله أيضا لخدمة بيت الله ذلك، فقد أدى أولاده هذه الخدمة مدة طويلة، ونتيجة للخدمة والأدعية على مدى ٢٥٠٠ سنة نشأت أمة تتمتع بقوة وكفاءة لحمل العبء الثقيل لمسؤوليات ومقتضيات الشريعة العالمية الكاملة والشاملة.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧-٩٨)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٦-١٣٠)

لقد ألقيت بعض الخطب حول موضوع مهم، وملخصها أن الله ﷻ بنى بيتا لمنفعة جميع بني البشر، لكنهم لم يعرفوا عظمته، مما أدى إلى دماره وانمحاء أثاره، ثم أمر الله ﷻ بالوحي إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام ببنائه من جديد، ودبر لحمايته وإقامة عظمته بحيث أمر إبراهيم وذريته أن يقفوا حياتهم لخدمة بيت الله هذا، فظلت ذريته لمدة طويلة تنجز هذه المهمة، ونتيجة للخدمة والدعاء الذي استمر طيلة ٢٥٠٠ عام نشأت أمةٌ تتمتع بالكفاءة التي تؤهلها لحمل مسؤوليات الشريعة الكاملة والشاملة والعالمية.

ثم أخبرتكم أن هذه الآيات التي تلوتها عليكم قد ذكر الله فيها ٢٣ هدفا وغاية لها علاقة ببناء بيت الله، وأنّ تحقق كل تلك الأهداف والغايات يتعلق ببعثة النبي ﷺ. لقد أبديت لكم أفكاري عن خمسة من تلك الأهداف في الخطبة الماضية، أولها أن هذا البيت قد ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، أي بني لفائدة جميع بني البشر، وثانيا ﴿مُبَارَكًا﴾ أي يتمتع بالبركة، ماديا وروحانيا. ثالثا أنه ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، أي نريد أن نجعله سبب هداية للعالمين كلها، وأن الله تعالى جعله مركزا لهداية العالمين من حيث المعاني الأربعة للهداية، ورابعا أنه ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، أي ستبدأ من هنا سلسلة الآيات السماوية، التي ستمتد إلى القيامة، وأنه سينفجر من هنا ينبوع التأييد السماوي الذي لن يجف أبدا، وخامسا قد أخبر في كلمتي ﴿مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾، أن هذا البيت سيكون مركزا للعبادة التي تصدر على أسس الحب والإيثار، وأنه ستُخلق هنا أمة تمثل جميع أمم العالم وجميع الأزمنة، والتي ستتمتع بعشقٍ مذيبِ الذنوب، لله ﷻ وأنه ستنفتح عليها أبواب قرب الله للأبد.

لقد تكلمت عن هذه الأهداف الخمسة في الجمعة الماضية بالتفصيل، لأنني سوف أعود إلى كل واحد منها، لأثبت أن لكل واحد منها علاقة ببعثة النبي ﷺ وأنه كيف وبأي شكل تحققت.

لذا أريد اليوم أن أتناول في خطبتي بإيجاز شديد بيانَ ما تبقَّى من الأهداف الـ ٢٣ تلك، والله الموفق.

لقد قال الله ﷻ ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي أنَّ **الهدف السادس** من بناء بيت الله هو أن كل من سيدخله –أي كل من سيقوم بالعبادات التي لها علاقة ببيت الله– سيكون في ملاذ من جحيم الدنيا والآخرة، وأن جميع ذنوبه السابقة ستُغفر. فالهدف السادس من بناء بيت الله أن يبنى لله بيتٌ تتعلق به بعض العبادات، وكل من سيحرز تلك العبادات بصدق القلب وإخلاص النية كاملة فقد وعده الله ﷻ أنه سيغفر له ذنوبه السابقة، وأنه سيعصم من نار جهنم.

الهدف السابع من بناء بيت الله الذي ذكره الله هنا ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فحج بيت الله ليس واجبا على ذرية إبراهيم عليه السلام أو العرب وحدهم، بل الغاية المتوخاة من بناء بيت الله أن تجتمع هناك أمم العالم لحج بيت الله، (وأرى أن جميع هذه الأهداف والغايات كانت قد كشفت على سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بناء بيت الله بالضبط، ونجد قرائن قوية عن ذلك في القرآن الكريم) باختصار لقد قال الله ﷻ لسيدنا إبراهيم عليه السلام إن حجَّ بيت الله هذا سيكون فريضة على جميع أمم العالم التي ستؤمن بي وبرسولي وتحمل على رقابهم نير طاعتي واضعين أيديهم بيد خاتم النبيين ﷺ، وبذلك سيُجعل هذا المكان مرجع الخلق ومرجع العالم كله.

الهدف الثامن من بناء بيت الله أخبرنا الله عنه أنه ﴿مَثَابَةً﴾ ففي هذه الكلمة إشارة إلى أن أقوام العالم افترقت، وعندما سيصل هذا الافتراق منتهاه سيبعث رسولٌ يحقق هذا الهدف من بناء بيت الله، وأنه سيجمع الأقوام المفترقة على مركز واحد، وسوف يأتي بهم جميعا "على دين واحد"، فهنا أخبرنا الله ﷻ أن مشيئة الله ﷻ- رغم بلوغ الفُرقة منتهاها- أن يبعث آنذاك مبعوثا يجعل الأمم كلها "أمة واحدة".

الهدف التاسع الذي بينه الله هنا هو ﴿أَمْنًا﴾ أي أن هذا البيت أَمْنًا للناس. فالمراد منه هنا، أننا أردنا أن نبني بيتنا هذا ليتوفر من خلاله وحده الأمنُ للعالم، لأن هذا البيت الوحيد هو الذي سيجدر أن يقال له بيت الله، ولن تنجح أي مؤسسة أو منظمة بتركه والإعراض عن التعاليم التي لها علاقة بهذا البيت، في إرساء دعائم سلام العالم مهما بذلت من الجهود الجبارة. فالعالم لن يحظى بالأمن الحقيقي إلا بالعمل بهذا التعليم فقط الذي سيقدمه للعالم ذلك النبي الذي سيبعث من الكعبة.

ومن منطلق المعنى الآخر للأمن سيكون المراد من أَمْنًا للناس أن العالم لن يتمتع بطمأنينة القلب روحانيا إلا بإنشاء العلاقة القوية بمكة المعظمة وبالشريعة الأخيرة التي ستظهر في مكة، والتي ستنادي أمم العالم كلها إلى ربها. ولما كان كل إنسان لا يحظى باطمئنان القلب إلا إذا كان ذلك التعليم يحقق مقتضياته الفطرية، ويقدر على تنمية جميع القوى والكفاءات التي خلقها الله في الإنسان وتوجيهها، فقد قال إن مكة ستكون بيتا لتعليم يُكسب العالم اطمئناناً حقيقيا للقلب. فكلا

المعنيين ينطبق هنا، أحدهما أن العالم إذا كان يستطيع أن ينال السلام فبواسطة مكة فقط، وثانيا أن أرواح العالم إذا كانت تقدر على الحصول على اطمئنان القلب وعقول العالم إذا أرادت أن تطمئنَّ فلن يتأتى ذلك إلا بالعمل بهذا التعليم الذي سينزل في مكة.

الهدف العاشر لبناء الكعبة قد بينه الله ﷻ في قوله: ﴿اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد ذكر في إحدى الآيات التي سبقت ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وكان المراد من ذلك أن هذا المقام بيت قد وضع فيه أساس للعبادة الحقيقية التي تتدفق من نبع الحب والإيثار والعشق لله ﷻ، أما في ﴿اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فقد ذكرت فيها العبادة التي تنفجر من نبع التذلل والتواضع.

باختصار قال الله ﷻ هنا أنّ أحد أهداف بناء بيت الله، أن تخلق أمة تعبد ربها بتذلل وتواضع، وتقيم أظلال إبراهيم عليه السلام في العالم كله للعبادة بتذلل وتواضع، وتقيم مراكز نشر الإسلام.

الهدف الحادي عشر لبناء بيت الله قد ذكر في ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ وأخبرنا فيه أن الله ﷻ يريد أن يجعل الكعبة جامعة ومركزا لطلاب النظافة الظاهرية، والطهارة الباطنية في العالم كله.

الهدف الثاني عشر لبناء بيت الله ورد في ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ وهو أن يجتمع فيه ممثلو أمم العالم مرة بعد أخرى. كان الله ﷻ قد أخبر سيدنا إبراهيم قبل ٢٥٠٠ سنة تقريبا أن ممثلي أقوام العالم سيتوافدون إلى هنا للطواف وتحقيق الأغراض الأخرى التي لها علاقة بالكعبة.

وقد ذكر **الهدف الثالث عشر** في ﴿وَالْعَاكِفِيْنَ﴾ أي تبنى الكعبة من جديد لكي تنشأ بواسطتها أمة يقفون حياتهم في سبيل الله ﷻ ويسعون لتحقيق الأهداف من بناء بيت الله ﷻ.

والهدف الرابع عشر ذكر هنا أن الله ﷻ يريد أن يخلق ﴿الرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي يخلق قوما يؤمنون بتوحيد البارئ، ويقضون حياتهم مطيعين لله ﷻ وأبرارا به.

الهدف الخامس عشر ذكر في ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ولقد استخدم الله ﷻ كلمة الأمن في هذه الآيات لثلاثة أهداف مختلفة، يقول الله ﷻ إننا سنجعل هذ البيت في مأمن من هجمات العالم الغاشمة، ولن ينجح أي هجوم يُشن لهدم الكعبة، بل سوف يدمَّر المهاجمون ويقضى عليهم، لكي يستنتج منه العالم أن النبي الذي نريد أن نبعثه هنا سيكون هو الآخر في ملاذ الله، ولن تقدر أي قوة على القضاء عليه أو إفشال مهمته، ولكي تستنتج الدنيا أيضا أن الشريعة التي ستعطى لذلك النبي المعصوم، ستكون أبدية، وأن الله سيتولى مسؤولية حفظها بنفسه.

الهدف السادس عشر المرتبط بالكعبة هو ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ فقد علَّمَنا الله فيه أنني أمرتُ ببناء بيتي هذا من جديد، وهدفي المنشود من ذلك أن تتوصل الدنيا بعد رؤية بيت الله وبركاته إلى النتيجة أن الذين يوردون الموت على أنفسهم في سبيل الله ويكونون له، ويضحون من أجله ويكونون لله وحده منقطعين عن العالم كله، لا تضيع أعمالهم بل تحمل ثمارا حلوة، ويقدر لهم أروع النتائج لأعمالهم الناجمة من دافع العشق والحب.

الهدف السابع عشر لبناء بيت الله مذكور في ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أي من أهداف بناء بيت الله أن تعرف الدنيا وتدرك أن الفوز بالمعالي الروحانية لا يمكن إلا بالدعاء حصرا، فحين تصل ضراعة العبد وابتهاله في الدعاء منتهاها وترِد عليه حالةٌ تشبه الموت، عندها ينزل فضل الله من السماء وتُفتح على العبد سُبل معرفة الله.

باختصار قد أخبرنا الله عن غايته المتوخاة من بناء بيت الله، وهي أن تُخلق هنا أمةٌ تدعو الله بكل شروط الدعاء، وسوف ترِد عليهم حالة شبه الموت، وأن كيانهم سيفنى نهائيا، ويصبح ماءً يسيل على أعتاب الله ﷻ، وسيكون عندهم علمٌ بأنهم لا يقدرون على الحصول على أي شيء بمجرد أعمالهم، ما لم يجذبوا فضل الله بالدعاء. لذا سيقولون لله ﷻ حتى بعد تقديم تضحيات جسيمة: ربنا ما أرفعَ شأنَك، إن كل ما نقدمه لك إنما هي هدية حقيرة. ونظن أن هديتنا هذه لا تجدر بالقبول عندك، لكنك الرب والرحمن فتقبل هديتنا الحقيرة هذه، وانظر إلى غفلتنا ومساعينا الحقيرة بعين المغفرة، واخلقْ لنا وسائل الرحمة، لكي تنال مساعينا وجهودُنا القبول عندك. باختصار قد أسس الله ﷻ الكعبة لخلق الأمة التي صفاتها وأعمالها من هذا القبيل.

يقول الله ﷻ إن **الهدف الثامن عشر** من بناء الكعبة من جديد أن تعرف الدنيا أن الذين يدعون الله بهذا الأسلوب إنما تتحقق بحقهم وحدهم صفةُ الله السميع، ثم تدرك الدنيا أن ربنا يسمع، فهو يسمع أدعيتنا ويقول: إني قد سمعت أدعيتكم، فالدنيا إذن سوف تتعرف إلى الإله السميع نتيجة بناء الكعبة.

الهدف التاسع عشر أن تحرز به الدنيا معرفة الإله العليم، فلن يتقبل الله دعاء العبد حرفيا فلن يعطي الله ﷻ العبدَ ما سأله وكما سأله نتيجة علمه الناقص، بل حين يدعو اللهَ ويوصل الدعاء لمنتهاه، فسوف يسمع ربُّه دعاءه ويتقبله، إلا أنه سيقبل بحسب ما يقتضيه علمُه بالغيب، أي سوف يجيب الأدعية كما ينبغي أن تجاب. فردُّ بعض الأدعية أو عدم قبولها كما صدرت، لا يُثبت أن الله ليس سميعا أو ليس قادرا، بل سوف يثبت ذلك أن الله ﷻ وحده علام الغيوب. إذن قد وضع أساس الكعبة، لكي يتعرف عبادُ الله إلى الإله العليم، ويحرزوا معرفته.

الهدف العشرون قد ذكر في ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، أي أَخرِج الأمة المسلمة من ذريتنا. لقد أخبرَنا الله ﷻ هنا أن هدفه أن تكون أمة محمد ﷺ حين بعثته إلى العالم مؤهلة لتكون أمة مسلمة، وأن تصبح في الحقيقة أمةً مسلمة نتيجة أدعية إبراهيم عليه السلام. ومعناه أيضا أن النبي الذي وُعد أنه سيُبعث في مكة. أُدعوا الله ﷻ أن يحميكم وأجيالكم القادمة من أن لا تبقوا -نتيجة الغفلة والتقصير- غير صالحين في نظره ليتحقق فيكم وعدُه ذلك، ويُبعث ذلك النبي في قوم آخر. لذا قال اجعلْ أولادي أمة مسلمة. حيث يكونون هم أول المخاطبين، ويكونون كلهم مصدِّقيه وأول المؤمنين به.

لقد أخبرَنا الله هنا أن الأمة التي ستتولد من ذرية إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ينبغي أن تكون أمة مسلمة، وألا تكون كافرة بذلك النبي،

وأن يتمتعوا بالقوة والكفاءة لإنجاز المسؤوليات التي ستلقى على عواتقهم نتيجة الإيمان بذلك النبي. يقول الله ﷻ: إننا نريد أن نجعلهم أمة من هذا القبيل، ومن أجل هذا الهدف قد أمرنا ببناء الكعبة من جديد.

الهدف الحادي والعشرون الذي ذكر هنا هو ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، فأشار في ذلك إلى أن من مكة المعظمة سيولد رسولٌ يُبعث إلى الناس كافة، عندما سيكونون قد بلغوا من النضج الروحاني والفكري مقاما يمكِّنهم من حمل الشريعة الكاملة والشاملة، الشريعة التي فيها ليونة مقابل الشرائع الأخرى، والتي فيها تعليم بالعمل بحسب مقتضى المحل، والتي تسد حاجات كل قوم وكل زمن. أرنا مناسكنا، أي اهدِنا إلى الأعمال والمسؤوليات والعبادات الملائمة لنا، وعلِّمْناها، أي: أنزل علينا شريعة القرآن.

فـ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ تفيد أنه عندما سيأتي ذلك الرسول، تكون له علاقةٌ بأقوام العالم كله، وبكل زمن. فداوِموا على الدعاء: ربنا أرسل إلينا الشريعة الكاملة والشاملة بحسب التفاوت في مستوى تطور عقول مختلف الأقوام واختلاف الطباع، ونظرا إلى الفرق بين المسائل المختلفة في كل الأزمان، الشريعة التي تؤدي المقتضيات الطبعية لكل قوم وتحل مشاكل كل عصر، وتدوم إلى يوم القيامة، لكي تتحقق غاية الله ﷻ من بناء الكعبة.

الهدف الثاني والعشرون الذي بيَّنهُ الله تعالى ورد في قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ ويفيد أن الشريعة التي تنزل هنا تكون لها علاقة متينة بالرب

التواب، وأن أتباع تلك الشريعة سيدركون الحقيقة بأن الفوز بالمعرفة مستحيلٌ دون التوبة والمغفرة. لذا سوف يقدمون التضحيات المتتالية في سبيل الله، وسوف يتوبون إليه أيضا مرارا وتكرارا، وسيقولون ربنا اغفر لنا خطايانا. ستكون أمة تخاف حتى بعد إحراز الحسنات أن يكون قد بقي في حسناتهم خللٌ يؤدي إلى غضب الله ﷻ لذا سوف تنشغل في الاستغفار والتوبة كل حين وآن.

الهدف الثالث والعشرون بيَّنه الله ﷻ في ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أي أننا نريد أن نجعل هذا المكان هو مولد محمد (رسول الله ﷺ)، ونريد أن نجعله مكانا نقيم فيه عبدا لنا (ﷺ) على مقام المحمدية نتيجة الأدعية الصادرة في محيطه بالضراعة والابتهال والتواضع والانكسار والعشق والمحبة. وبواسطته ستقام شريعة، وتُخلَق أمة تحوز آيات حية ومتجددة. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ أي ستكون لهم علاقة بالإله الحي والنبي الحي والشريعة الحية، وسيُعلَّمون الشريعة الكاملة، ولن يقال لهم إننا نقول لكم آمِنوا كما يقال للأولاد غير الناضجين قليلي الفهم. بل سوف يعلِّمهم الله ﷻ بواسطة ذلك النبي حكمة أوامره أيضا لتشحيذ عقولهم وفراستهم. وبذلك سوف يطهَّرون تطهيرا لم تتمتع به أي أمة من قبل. وهذه حقيقة تقبلها عقولُنا أيضا لأن الأمم السابقة إذا كانت قد تزكَّت نتيجة نزول الشريعة الناقصة نسبيا عليهم والتعليم الناقص، فلم تكن تلك التزكية كاملة. صحيح أن تلك التزكية تلائم طباعهم وكفاءاتهم وقواهم لكنها ليست كاملة، لأن

التعليم الذي أُعطوه لم يكن كاملا، وذلك لأن كفاءاتهم كانت غير كاملة. ثم حين خُلقت أمةٌ تقدر على حمل الشريعة الكاملة، فالذين قدَّموا تضحيات جسيمة وعملوا بجميع أوامر الله ﷻ وامتنعوا عن كل ما نها عنه خشيةً منه ﷻ وعاشوا باكين متضرعين له، فالتزكية التي سيتمتعون بها (بمحض فضله تعالى وليس بفضل أعمالهم) ستكون كاملة وستكون طهارتهم طهارة كاملة، وسيحظون برضوان الله ﷻ الذي لم تحظ به الأمم السابقة.

يقول الله ﷻ هنا إن الهدف الثالث والعشرين من بناء بيت الله أن يُبعث خير الرسل ﷺ إلى العالم، وبذلك يقام الإنسان على مقام أرفع قد خلقناه من أجله.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا نحن أيضا بفضله من عباده أولئك. فنحن ضعفاء جدًّا وغير جديرين ومخطئون ومذنبون وغير فاهمين ومنغمسون في شهوات النفس، لكنه إذا أراد وأنزل فضله علينا فهو يقدر على انتشالنا من كل أنواع القذارة وإيصالنا إلى المعالي التي وعد بها الأمةَ المسلمة.

في الخطب القادمة سأبين تفصيل تحقيق ٢٣ هدفا هذه بواسطة النبي ﷺ، إنني آتي بكم رويدا رويدا إلى ما أشرتُ إليه سابقا أيضا أي أن الله تعالى قد لفت انتباهي إلى أمر مهم، ولذلك فللبرنامج أهمية قصوى في مجال تربية الجماعة.

باختصار إنني أحاول أن أجهِّزكم فكريا، لكن من أنا وما تأثير لساني؟ ما لم يخلق الله ﷻ تأثيرا في لساني ولم يوفِّق قلوبكم لقبول ذلك

التأثير. لذا أُدعوا الله بانتظام وأنا أيضا أدعو. نسأل الله ﷻ أن يأخذ من جماعتنا بفضله خدمة قد أقامها من أجلها.

(جريدة "الفضل" عدد ١٩٦٧/٤/٣٠)

أنيطت المنافع الدينية والمادية
لجميع أمم العالم
ببيت الله

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢١

"الهدف الأول لبناء بيت الله قد ذكره الله ﷻ في كلمات ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي قد أمر إبراهيم عليه السلام ببناء بيت الله من جديد لأن المنافع الدينية والمادية لجميع أمم العالم قد أنيطت ببيت الله هذا."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧-٩٨)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٦-١٣٠)

لقد بيَّنت في الخطبتين الماضيتين أن هذه الآيات التي تلوتها في مستهلّهما، وتلوتها اليوم أيضا، قد ذَكر الله ﷻ فيها ٢٣ هدفا لها علاقة ببيت الله والتي تحقُّقُها مرتبط ببعثة النبي ﷺ، ومع أن كل هذه الوعود قد تلقَّاها سيدنا إبراهيم عليه السلام قبل بعثة النبي ﷺ بـ ٢٥٠٠ عام تقريبا، لكن هذه الأمور وهذه الوعود وهذه الأنباء تحققت في الحقيقة حين بُعث النبيُّ ﷺ إلى العالم ونزلت من السماء شريعةُ القرآن الكريم.

فالهدف الأول من بناء الكعبة الذي بيَّنه الله ﷻ في هذه الآيات هو كما أخبرتُكم في إحدى الخطب السابقة أنه ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي قد أمر إبراهيم عليه السلام ببناء بيت الله هذا من جديد لكي تُربَط به منافعُ دينية ومادية لجميع أقوام العالم. والبدهي أن هذه المدة الممتدة على ٢٥٠٠ سنة، بين سيدنا إبراهيم عليه السلام ورسول الله ﷺ، لم يكن يمكن القول أن جميع أقوام العالم تنال من بيت الله الفوائد المادية والروحية، إذ كانت أمم كثيرة آنذاك تجهل الموقع الجغرافي لبيت الله أو مكة، وكانت غالبية أقوام العالم لا يكنّون في قلوبهم حبًّا لبيت الله مطلقا. فلم يكونوا ينجذبون إلى الكعبة المشرفة، ولم يكن لها أي احترام أو مكانة في نظرهم يومذاك، ولم يكونوا يوقنون بأنه قد أنيطت ببيت الله بركاتٌ وفيوض إذا علموا بها وعرفوها لأمكن لهم أن ينالوا نصيبا من تلك الفيوض والبركات. لكنه حين بُعث النبي ﷺ عرف الناس هذا البيت- الذي كان العالم قد نسيه- وأدركوا بركاته ونشأ له حبٌّ في قلوب أمم تسكن في أكناف العالم، وبدأت تتحقق جميع الوعود التي كان قد قطعها مع إبراهيم ربُّه وربُّ محمد ﷺ وربُّنا جميعا.

الآن سوف أخبركم كيف تحقق وعد ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ وبأي شكل، فالبدهي أنه لما كان الوعد بحق جميع الأمم وأن جميع بني البشر سوف ينالون البركات من مكة، ومن المستحيل عقلا أن يتم ذلك دون نزول شريعة كاملة. لذا كان نزول الشريعة الكاملة ضروريا في صورة القرآن الكريم قبل تحقُّق هذا الوعد. ادَّعى القرآن الكريم بأنه ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي هذا الكتاب شريعة كاملة وشاملة، وقد أورد القرآن أدلة على الدعوى بأنه لا ريب فيه. وانطلاقا من المعاني الأربعة للريب التي تنطبق هنا قد قُدمت لنا أربعة أدلة، إثباتا أن هذا القرآن وهذا الكتاب كامل وأكمل وأتم من كل النواحي.

فبحسب أحد معاني ﴿رَيْبَ﴾ سيكون تعريف القرآن الكريم أنه الكتاب الكامل الوحيد لسد حاجات الإنسان الروحانية والجسمانية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية، وهذا هو الكتاب الكامل الذي يسد جميع مقتضيات فطرة الإنسان الحقيقية. لأنه بكمالاته وفضائله الذاتية وتعاليمه منقطعة النظير يثبت صدقَه والحاجةَ إليه. وإذا اعتَبرتُ هذا الدليل دعوى جديدة وبدأتُ سرد الأدلة عليها فإن هذا الدليل الواحد سيستغرق وقتا طويلا. فالذين يفهمون القرآن الكريم إلى حدٍّ ما يعرفون أن أدلة القرآن الكريم وفضائله وتعاليمه المنقطعة النظير تثبت أفضليته على جميع الكتب السابقة.

حين سُئل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن الكتب الإلهامية لبني إسرائيل، أنه: ما الحاجة إلى القرآن الكريم في وجودها؟ قال عليه السلام: لا تقلْ القرآن

الكريم كله، فهو كتاب واسع، ويشمل كبار العلوم، ففي بدايته سورة الفاتحة والمعارف والأدلة الحقانية التي وردت في سورة الفاتحة، إذا أخرجتم لنا مقابلها تلك المعارف والأدلة من جميع كتبكم الروحانية فسنقبل أن كتبكم تقدر على منافسة القرآن الكريم. ولقد مضت مدة طويلة على هذا التحدي، وفي الكاثوليك خلا عدد من البابوات الذين قادوا الكاثوليك، وكذلك هنا فرق مسيحية أخرى، ولم يتجاسر أحدهم على تقديم هذه الأدلة من كتبهم السماوية من النوع الذي ادعى سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أنه سيخرجها ويقدمها لهم من سورة الفاتحة هذه.

فمن معاني ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، الكتاب الذي يُثبت صدقه والحاجة إليه بكمالاته وفضائله الذاتية وتعاليمه منقطعة النظير. ولما سئل عن الحاجة إلى القرآن الكريم فالجواب الذي قدمه حضرته ودعوة الحكم التي دعا إليها حضرته في ذلك الجواب لم يقبلها أي قائد من الفرق المسيحية إلى اليوم. ومن هنا ثبت بوضوح أنهم لا يستطيعون تقديم المواضيع المطلوبة من كتبهم السماوية مقابل مواضيع سورة الفاتحة.

الدليل الثاني الذي قدمه الله ﷻ في ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ على كونه ﴿رَيْبَ﴾ أي الكتاب الكامل، أن تعليم القرآن يحمل الإنسان من وادي ظنٍّ وريب وخراب غير ذي زرع ليوصله إلى معالي اليقين مع الأدلة والآيات البينات. وأن هذه الميزة ستبقى فيه دوما، لأن الله قد حفظه.

وانطلاقا من أحد معاني ﴿رَيْبَ﴾، أنَّ فيه مدلولاً على أن هذا الكتاب في حفظ الله ولا يمكن أن يتسرب إليه الدجل الشيطاني، لذا كما يؤثر في

روح الإنسان اليوم سيظل يؤثر بنفس المستوى في روح الإنسان إلى يوم القيامة، لذا هذا الكتاب هو كتاب كامل.

ومن مفاهيم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أن أيَّ هداية أو حقيقة يجب أن تتوفر في الكتاب الكامل لم تبق خارج هذا الكتاب، وعن ذلك أيضا قد دعا سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الأديان الأخرى في عدة مواضع للفصل والحسم في هذا الموضوع. فمثلا قال حضرته أخرِجوا عن وجود الله سبحانه وتعالى دليلا صادقا وحقيقيا من كتبكم أعجز عن بيانه من القرآن الكريم. فكل حقيقة يمكن أن يدعي بها أي كتاب آخر، تتوفر فيه. وإضافة إلى ذلك تتوفر فيه كثير من الحقائق التي لا توجد في الكتب الأخرى، لذا فإن هذا الكتاب كتاب كامل.

من حيث المعنى الرابع لـ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فقد قدم حضرته دليلا، أن جرِّبوا العمل به تكونوا في مأمن من كل نوع من المصائب والآفات، وتصبحون في ملاذ الله سبحانه وتعالى، ثم لن يقدر أي دجل للدنيا ولا أي قوة من قواها ولا مؤامرة من مؤامراتها على إلحاق أي ضرر حقيقي بكم، لأن الضرر يحدث حين يضيع أي شيء في الحقيقة. لكنه لو فقدَ أحدٌ خمس روبيات وقال له والدُه إنني أعطيك خمس روبيات بدلاً من الخمسة التي فقدتَها، وأعطيك عشر روبيات إضافية تعويضا عن المعاناة التي واجهتَها، وبذلك وجد معه خمس عشرة روبية، فلن يقول أي عاقل في العالم إنه خسر خمس روبيات. إذ قد وجد مقابلها ١٥ روبية. وبناءً على ذلك فقد ادَّعى الله سبحانه وتعالى هنا أنكم بالعمل به لن تتعرضوا لأي خسارة أو مصيبة، ولم

يقل إنه لن يؤذيكم أحدٌ، لأن المؤمن لا بد أن يقدم التضحيات في سبيل الله. لكن المؤمن الحقيقي يرى أن ما تراه الدنيا كلها أذًى يراه هو راحةً ونعمة، وأن إلهه وربه ومالكه الذي من أجله يتحمل هذه المصائب، يهيء الوسائل لسروره وفرحته وراحته فيحسب أن مؤذيه آذاه قليلا ولو آذاه أكثر لوجد حبَّ ربه أكثرَ. فلما كان هذا الكتاب كتابا لا يتعرض المؤمن الحقيقي العامل به لأي خسارة مطلقا، وفي المقابل ليس هذا هو الحال بالنسبة لكتب أخرى، لذا قد ثبت أن هذا هو ﴿الكتاب﴾، ولذلك قال الله ﷻ في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ (النساء: ١٧١).

ألا استمعوا أيها الناس إن رسولا كاملا قد جاءكم بالصدق الكامل من ربكم، فربكم الذي خلقكم من أجل هدف معين، قد جاء بكم- تمريرا من شتى مدارج الارتقاء والتطور- إلى هذا المقام لكي يُدخلكم جناتِه الكاملة، فاعلموا أن هذا الرسول قد جاء، فآمِنوا بلسانكم وقلبكم وجوارحكم بما يقول لكم، وإذا عملتم بتعليمه وآمنتم بهذا الرسول الكامل، وعشتم بحسب الشريعة الكاملة التي يحملها لكم فسوف تصبحون ﴿خيرَ أُمّة﴾. وعندما تصبحون خير أمة؛ عندها فقط ستتمكنون من نفع بني البشر كلهم، وبواسطتكم سينال جميع الأقوام والناس في كل زمن الفوائدَ المادية والدينية. فما دمتم لا تحرزون هذه المكانة فلا يمكن أن تنتفع بكم الأقوام التي تعيش في كل بقعة من بقاع العالم. وما دامت كل أمم العالم لا تستفيد منكم فلن يقال بحقكم بأنكم أمةٌ ﴿أُخْرِجتْ لِلنَّاس﴾، أي قد

خُلقتم من أجل منافع الناس، وما دام العالَم لا يقول بحقكم إنكم خُلقتم من أجل خير العالم حقاً وصدقاً، فلن يتحقق الوعد: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، لذا فآمنوا، أي آمِنوا بشريعة القرآن ملبّين هذا النداء، واقضوا حياتكم بحسبها، فسوف تكونون خير أمة. فبواسطة نزول القرآن تحقَّق الهدف من ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾. يقول الله في سورة آل عمران:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١١١)

ففي هذه الآية صدرت دعوى في الحقيقة أنه بحسب نبوءة إبراهيم عليه السلام ووعده قد خُلقت أمةُ محمد لفائدة بني البشر، وقد أُعدتْ أمةٌ قد ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي قد خُلقت من أجل منفعة جميع بني البشر. ودليل ذلك أنها خير أمة. ومن هنا يثبت أنها ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي قد خُلقت من أجل نفع العالم كله. وهذا الدليل أنه إذا فكرتم في شرائع العالم كلها فسوف تتوصلون إلى نتيجة أن كل شريعة نزلت بحسب كفاءات الأمة التي أنزلتْ إليها، فالشريعة التي أرسلت إلى قوم نوح عليه السلام نتعرف بها إلى الكفاءات والقُوى الروحانية لأمته، والشريعة التي نزلت على موسى عليه السلام ندرك بها الكفاءات الروحانية والمواهب لقوم موسى عليه السلام بني إسرائيل، وهذا هو حال أمم سائر الأنبياء.

باختصار أي شريعة تنزل من الله إلى أي أمة، فإنما تنزل نظرا للكفاءات الروحانية والمواهب لتلك الأمة، لأن الله سبحانه وتعالى لا يلقي على فرد أو أمة حملا لا تقدر على حمله.

والحقيقة الثانية التي هي واضحة جدا هي أن شريعة القرآن مقابل سائر الشرائع أكمل وأتم وأشمل، إذا وضعتم أحكام الشرائع السابقة (أي الأوامر والنواهي) مقابل أحكام القرآن الكريم، فسترون أنه قد أُنزِلَ أكثر من سبعمائة حكم (الأوامر والنواهي) لهذه الأمة، ومقابله نزلت على موسى أحكامٌ معدودات، ثم هناك مئات من أوامر القرآن التي لا نجدها في أي شريعة سابقة، ومن هنا يثبت أن أحكام الشرائع السابقة كانت محدودة، لأن كفاءات الأمم التي أنزلت إليها كانت محدودة، وكون القرآن الكريم شريعة كاملة وشاملة يُثبت أن بني البشر في عصر نزول القرآن كانوا يتمتعون بالكفاءات الروحانية الكاملة وإلا لما نزل إليهم القرآن الكريم.

فالكمالات الخاصة بتعاليم القرآن تشهد على كمال كفاءات هذه الأمة، نستنتج من كمالات تعليم القرآن الكريم واتساعه وعظمته أن مخاطَبي القرآن الكريم كانوا يفوقون جميع الأمم كفاءاتٍ، وإلا ما كانوا يقدرون على حمل القرآن الكريم بمعنى أن مخاطَبي القرآن الكريم هم أفضل وأعظم وخير من الأمم السابقة كلها من حيث كفاءاتهم ومواهبهم. ثم حين جاءت هذه الكفاءات والمواهب تحت تربية تعليم القرآن الكريم، فنتيجة لمعرفة روح القدس وببركة القوة القدسية للنبي ﷺ وبركة اتباعه، وُلد الروحانيون الذين عُدُّوا أكمل وأتم من الأولاد الروحانيين للأنبياء السابقين من حيث الكم والكيف والصورة والحالة. وما كان ليتحقق الوعد الوارد في ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ما لم تولد خير أمة لا تقدر أيٌّ من الأمم السابقة على الوقوف أمامها، وهي فاقت الجميع، كما لم يكن من الممكن أن تُولد في

المستقبل أمةٌ تسبقها، أي تكون قد بلغت قمتها وكمالها. لأنه نتيجة للشريعة الناقصة والتربية الناقصة لم يكن أملٌ منها أن تنفع بقاع العالم كلها. باختصار لم تنافس أي أمة إلى اليوم الأمةَ المسلمة في إفاضة الخير، ولا يمكن أن تُخلق إلى يوم القيامة أمة تقدر على منافسة الأمة المسلمة. فقد قال الله ﷻ هنا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أي قد خُلقتم للناس بحسب هذا الوعد الإبراهيمي، وسوف ينال العالم كله الفيوض منكم ويتبرك بكم. ودليل ذلك أنكم خير أمة من كلا الجانبين، أي من حيث الكفاءة ومن حيث تصبُّغكم بصبغة أسوة النبي ﷺ والأخلاق الحسنة نتيجة التربية. وأنتم الذين يمكن أن تستفيد منكم الدنيا كلُّها. فكونكم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ وبلوغُ كفاءاتكم ومواهبكم كمالها، ثم بلوغُ تربية تلك الكفاءات والمواهب كمالَها، يفيد أن الوعد بكون بيت الله "وُضِعَ لِلنَّاسِ" قد تحقق. أي قد أقيم بيت الله لمنفعة جميع أقوام العالم ورفاهيتهم.

ولا يغيبن عن البال أن الإنسان يمكن أن ينفع بني البشر كلَّهم فقط في حالة إقامته جميع بني البشر على مقام الأخوة والمساواة، ولا يجيز أي تمييز أو تفريق. فجميع الأمور التي كانت تقيم كرامة الإنسان وشرفه توجد في شريعة الأمة المسلمة أي القرآن الكريم أو أسوة النبي ﷺ أو أحاديثه. فالإسلام قد أزال كل تمييز وتفريق بين إنسان وإنسان، وبذلك أقام كرامة الإنسان وتوقيره.

قد قال النبي ﷺ في الخطبة التي ألقاها في حجة الوداع أيضا:

ألا إن ربكم واحد، فهو الذي بربوبيته قد وصلت جميع الأمم إلى هذا المقام بقطع المسافات المختلفة، حيث صارت الكفاءات والمواهب

الروحانية والأخلاقية لجميع الأمم على حدٍّ سواء، وأنها تجهزت لقبول الشريعة الأخيرة. إن خالقكم واحد، فقد خلق كفاءاتكم المادية والروحانية متماثلة، فلم يفرق بين قوم وقوم. صحيح أن لكل فرد نطاقًا خاصًا للتطور، ولا نستطيع أن نفرق بين قوم وقوم. حيث لا يمكن القول أن الأمة الفلانية ذليلة أو حقيرة وأنها خُلقت بحيث تكون بنْيتها غير قادرة على التقدم المادي أو الروحاني أو العلمي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي. فقال ألا استمعوا بآذان صاغية أن ربكم الذي خلقكم وخلق قواكم وكفاءاتكم ومواهبكم ثم ربَّاها ومرَّركم من مدارج الارتقاء، وبلَّغ نموكم كماله، فذلك القدوس واحد. واعلموا أن أباكم أيضا واحد، أي أنكم جميعا من نسل آدم. باختصار إن ربكم الذي خلقكم واحد وأن أباكم آدم واحد. فلو كنتم أولادَ آباء مختلفين لقلتم إننا ورثنا آباءنا، وأن أبانا كان أعظم وأجلَّ، وورثنا منه تلقائيا هذه الدرجة، لكن ذلك لا يصح، لأن أباكم واحد. كذلك لو كان هناك آلهة شتى وأرباب متفرقون لحقَّ لأمة أن تقول، إن الرب الذي خلقَنا أقوى وأعلم وأقدر، وألطف وأرحم، فقد أعطانا أكثر. أما الرب الذي خلق الآخرين فلم يكن أكثر علما وقدرة ورحمة وحبا لمخلوقه كما أحبَّنا ربُّنا؛ لذا وجدوا أشياء أقل، وبذلك هم أقل شأنا منا. لكنه ما دام ربُّكم وأبوكم واحدا فاعلموا أنه لا فضل لأي عجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أبيض. وقال في موضع: ولا لأبيض على أحمر. وإنما معيار الفضل في نظر ربكم ونتيجةُ الكفاءات التي خلقها

لكم، واحدة وهي التقوى. فإن أكرمكم عند الله أتقاكم. لكنكم لا تعرفون عن نظر الله ورأيه: ﴿لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ فما دام حكم الكرامة يتوقف على علم الله ورأيه، الذي لا نعلمه أهو نظر الحب أو الغضب، فلا يجوز التفاضل. فقد قدمتُ لكم مثالا واحدا، وإلا فتعليم الإسلام مليء بالأحكام والوصايا. فمثلا لا يفضّل الإسلام أحداً على أحدٍ من حيث المال، بل يقول للغني أنه ما دام الفقر موجودا فلا حق لك على مالِك، كما قال ﷻ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ... ﴾ فهذه الآية تعني في رأيي أنه ما دامت حاجات المعيشة لكل فرد في المجتمع لا تسد، لا حق لأي غني على ماله. أما حين سُدت الحاجات المعيشية فما زاد منها فلا ينهى الإسلام عن إنفاقه على سبل صحيحة باعتباره فضلا من الله. أما إذا كان الجار جائعا وكانت على مائدتكم ستة أو سبعة أطباق فلا الإسلام يسمح بذلك. فلا فضل لأمة على أمة من أي ناحية من حيث الأمة. ففي مجال العلم مثلا كل الأدمغة متساوية وفي كل قوم أذكياء وبارعون جدا وفي الوقت نفسه في كل أمة أغبياء فكريا أيضا، فلكلٍّ كفاءات. ومن الخطأ القول إن الأمة الفلانية بأسرها غبية في مجال العلم، وأن أمة أخرى كلها ذكية في مجال العلم.

صحيح أن الأمم الحاكمة ترفع حميرهم أيضا مكانا مرتفعا، فمثلا كان طالب يدرس في أكسفورد، وكانت عندهم طريقة أن الطالب الذي لا يمشي في الدراسة لا يُضيعون ماله بل بعد الفصل الأول حين يذهب إلى بيته وبعد أن تظهر النتائج يرسلون رسالة إلى بيته يقولون له

فيها أنه لا داعي لأن تشرّفنا بالعودة إلى هنا، بل ابقَ هناك. ويقال لهذا في الإنجليزية (sent home) أي أُرسل إلى البيت. بالمصادفة لم يعد أحد الطلاب في مجموعتي بعد الفصل الثاني ولم أكن أعرف طريقتهم هذه، لذا سألتُ زملائي لماذا لم يعدْ فلان، إذ خطر ببالي أنه تحدث حالات الوفاة وحوادث أيضا فلربما تعرَّض لهذا أو ذاك، فأخبرَني أحد الأصدقاء أنه (sent home) أي أنهم أعادوه إلى البيت وفصلوه. ثم في ١٩٤٤ حين سافرتُ إلى دلهي وقع نظري مصادفة على شخص عرفتُ أنه هو نفس ذلك الشاب، كان مسؤولا كبيرا في الحكومة الإنجليزية فتقابلنا كلانا وتعارفنا. وقلت في نفسي لما كانت هذه الأمة حائزة على الحكم المادي لذا هم بحسب المثل السائد في بلادنا يجعلون حميرهم أيضا مديرين، وذلك علينا. إذن ففي كل قوم تُوجد أدمغة جيدة وسيئة أيضا، وليس هناك قوم لا تجدون فيهم هذا الشيء، وليس هناك قوم يملك جميع أفرادهم أدمغة جيدة، وليس هناك قوم يملك جميع أفرادهم أدمغة سيئة. ففي كل قوم أغبياء ومتوسطوا الذكاء وأذكياء. فالإسلام لا يحب التمييز بل يقيم مبدأ المساواة، فانظروا مثلا في ميدان التعليم كيف أنّ الإسلام يركز كثيرا على تلقي العلم، ومعنى ذلك أنه يجب على كل واحد أن يتلقى العلم بحسب كفاءته وقدرته على تلقِّي العلم. ومن هنا يستنبط أن طالبا من الدرجة الثالثة الذي ينجح في الامتحان بعلامات إضافية كنوع من أنواع المساعدة لينجح، يجب أن لا تُقدَّم له منحةٌ، لأن ذلك ظلم وضياع، أما الطالب الذكي والبارع فإضاعة دماغه كفران

بنعمة الله ويساوي خسارة القوم كلهم. باختصار إن الإسلام قد أقام المواساة وبعدها الأخوةَ بين إنسان وإنسان. فقد نبذ كل بغض وحقد من القلوب ورماه، وقال تحابُّوا كالإخوة، ثم أقام تعليمه الأساسي على ثلاث ركائز، هي العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى. فكل قوم لهم مكانة عالمية، أو القربات أو العلاقات الدولية، إذا أقيمت هذه على مبدأ العدل، ثم الإحسان وبعده على مبدأ إيتاء ذي القربى، فسوف ينمحي اليوم كل أنواع الفساد والفتن من العالم، وستبدأ الدنيا تنتفع من بعضها البعض، بدلا من أن تظل كل دولة تفكر كيف يمكن أن تُلحق الضرر بغيرها. فبإعطاء هذا الحكم الأساسي قد أخبرَنا الله ﷻ أن بعض الطباع منكم لن تتجاوز حد العدل، فنقول لهم ألا تتردى عن مقام العدل وإلا لن يبقوا مسلمين، وبعض الطباع سوف تطير فوق مستوى العدل، وتصل إلى مقام الإحسان، ولن تتجاوزه، ونقول لهم إذا تركتم مقام الإحسان رغم كفاءتكم وترديتم إلى مقام العدل، فاعلموا أنكم ستُحرَمون من نعم الله الكثيرة، التي كنتم تستطيعون الحصول عليها بالثبات على مكان الإحسان، وهذه الخسارة ليست هينة، بل هي خسران كبير. ثم منكم البعض الذين يسبقون هذين المكانين ويبلغون مقام إيتاء ذي القربى، ويقدرون على ذلك، ونقول لهم حذار أن تقتنعوا بمقام الإحسان، وإلا سوف تحرمون من نعم الله المنقطعة النظير وأفضاله عديمة المثال وبركاته العظيمة. باختصار قد أقام الإسلام مبادئ المساواة والأخوة والحب بين إنسان وإنسان على هذه الأعمدة الثلاثة.

لقد تأخر الوقت كثيرا، لكنني كنت أريد أن أتكلم حول هذا الهدف بالتفصيل، لأن هذا الهدف من بين ٢٣ هدفا هو هدفٌ أساسيٌّ وهام، والهدف الأخير أيضا مهمٌّ جدا، أما ما بينهما من أهداف فسوف نمر بها سريعا. وفي هذا المجال رأى أحد الإخوة رؤيا أيضا، (وهو لم يفهم تأويلَها) فقد كتب إلي قبل بضعة أيام أنه رآني ورأى نفسه و(معه بعض الزملاء الآخرين) عند مفرق قاديان الذي ينزل فيه درج وهو الجزء من المسجد المبارك الذي بني لاحقا. هنا كثير من الأولاد الأعزة الذين لم يزوروا قاديان لا يستطيعون أن يفهموا، أما الذين زاروها فهم يستطيعون أن يفهموا أن جزءا من المسجد المبارك الذي بني جديدا ينزل درجُه في مفرق. فكتب هذا الأخ أني رأيت أنا قائمون في ذلك المفرق، وأتيتم بسرعة كبيرة وعلى وجهكم بشاشة ورونق، وصعدتم على الدرج قليلا ثم نظرتم إلينا، ثم صعدتم بعض الدرجات ونظرتم إلينا، وقد فعلتم ذلك مرتين، ثم صعدتم الدرج كله، ثم أذَّنتم، ونعتقد أنه كان وقت صلاة العصر، لذا سوف تصلون بنا صلاة العصر، لكن الأذان الذي رفعتموه قبل الصلاة، شعرنا أنه أطول من المعتاد.

وهذا الجزء من المضمون الذي أبينه هو يشبه النداء إلى برنامج خاص، لتكونوا، عندما أصل إلى هذا البرنامج، مطلعين جيدا على الخلفية، فتدركوا مسؤولياتكم. (وطول الأذان أكثر من المعتاد يشير إلى هذا).

باختصار كان التعبير ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ هدفا لبناء بيت الله، ولما كان مهمًّا جدًّا من هذا المنطلق، لأن لجميع الأهداف الأخرى علاقة قوية به

والهدف الأخير المذكور في ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ....آيَاتِكَ﴾؛ لذا كنت أريد أن أبينه بالتفصيل، لكي تفهموا جيدا أن نبوءة ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ما كانت لتتحقق ما لم تُخلق في العالم أمةٌ هي خير الأمم، وهي ما كانت لتخلق ما لم تنزل شريعة القرآن الكريم الكاملة والشاملة. ومعلوم أن كل شريعة تنزل بحسب كفاءة القوم الذين أنزلتْ إليهم، ولما كانت شريعة القرآن الكريم كاملة وشاملة من كل النواحي، لذا نستنتج من هنا (ولا نستطيع أن نأخذ أي نتيجة أخرى) أن الأقوام في ذلك الزمن أو الذين كانوا مخاطَبيه إلى يوم القيامة، كانوا بحسب كفاءاتهم ومواهبهم يستطيعون حمل شريعة القرآن، وبعد تلقِّي تربية القرآن وبعد نيل نصيب من فيوض النبي ﷺ وبركاته، قد تبدَّلت ملامحُهم وهيئاتُهم بحيث أصبحوا في نظر من يرى الحقائق أناسا جديدين. أي لم يبق شيء من ملامحهم وأشكالهم القديمة، بل ظهرت ملامح جديدة، كما أن دودة القز حين تعدّ الحرير وإذا أتاح لها الإنسان فرصة لتخرج من شبك الحرير الذي نسجتْه حولها، فلا تبقى على حالتها السابقة، بل يتبدل تمامًا رأسها وعيناها وملامحها، حيث لا تكون لها أجنحة في السابق لكن خلال ٢٤ أو ٤٨ ساعة تظهر لها أجنحة ويخلق لها رأسٌ جديد، وعينان جديدتان. ونفس هذا المثال تماما ينطبق على الذين آمَنوا بالنبي ﷺ حيث كانوا في السابق ديدان الأرض وبعد الإيمان وهب الله لهم البصارة الجديدة وعيونا جديدة وأدمغة جديدة، وأعطاهم قوة جديدة للطيران، فبدأوا يطيرون في السماء الواسعة، وحين نشأتْ هذه الأمة تحقَّق وعد ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾.

من هنا نستنبط أيضا أن الأمة التي يسميها القرآن خيرَ أمة، تقع على عاتقهم أنواع المسؤوليات بخصوص خدمة العالم، وفَّقنا الله جميعا لإنجاز ما عُهد إلينا من المسؤوليات. (آمين)

(نقلا عن جريدة "الفضل" الصادرة في ربوة، عدد ١٩٦٧/٥/٧)

ظهور بركات

كعبة الله العالمية

من خلال بعثة النبي ﷺ

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٥/٥

"كان الله ﷻ يريد أن يجعل الكعبة مباركة، فببعثة النبي الكريم أصبح بيت الله مباركا، وكان الله ﷻ يريد أن يرسل هنا هداية تكون ﴿هُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ من حيث كمال الشريعة، ومن حيث إفاضتها أيضا، وهذا الوعد تحقق بواسطة القرآن الكريم."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧).

إنني أخبركم كيف تحقق ٢٣ هدفا مذكورا في هذه الآيات الكريمة التي لها علاقة ببناء بيت الله ببعثة النبي ﷺ. ففي إحدى الخطب السابقة قد بينت لكم تفسير ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ على هذه الخلفية.

الهدف الثاني الوارد في هذه الآيات هو أنَّ بيت الله الكعبة مبارَك، وكنت أخبرتكم أن كلمة مبارك يمكن أن يكون لها معنيان، أولا أن الكعبة ستكون ملتقى ممثلي شعوب العالم وأن الناس سيجتمعون هنا بانتظام من جميع الأقوام، وسيكونون أُسودَ الميادين الروحانية، وهذا المكان سيكون مسكنا للأبطال الذين يثبتون بشجاعة. يشهد التاريخ على أن بيت الله لم يكن مباركا بهذا المعنى لجميع أقوام العالم قبل بعثة النبي ﷺ، أي لم ينشأ في قلوب أقوام العالم حبٌّ لبيت الله الكعبة بهذا الأسلوب قبل بعثة النبي ﷺ حتى ينجذبوا إليه، كما لم يكن في الكعبة متاع يجلب السكينة لقلوب ممثلي أقوام العالم إذا أتوا إلى هناك.

أما بعد بعثة النبي ﷺ فقد تغيرت خريطة العالم من هذا المنطلق، حيث نشأ حبُّ بيت الله من ناحيةٍ في قلوب أقوام العالم، ومن ناحية أخرى توفرت هناك وسائل ليأتي الناس إليه ويتعلموا علوما روحانية أو نقليّة أو عقلية ودينية، وتكون تلك العلوم قادرة على نفع جميع أقوام العالم في كل زمان دينيا وماديا، والتاريخ يُثبت بكل وضوح أن هذا الهدف تحقَّق ببعثة النبي ﷺ لذا لا حاجة لأتكلم حول هذا أكثر.

المعنى الثاني لقوله تعالى ﴿مُبَارَكًا﴾ الذي ينطبق هنا هو أن مكة ستُجعل مولدا لشريعة تُجمع فيها جميع الحقائق الأساسية والهدايات التي كانت متفرقة في شرائع الأنبياء السابقين، فالقرآن الكريم وحده شريعة قد ادَّعت أنها تشمل جميع الحقائق القديمة، ولم تقل ذلك أيُّ شريعة قبل القرآن الكريم ولم تكن تقدر على ذلك لأن الله الذي أنزلها كان يعرف أنها نزلت لأقوام خاصة ولوقت محدود.

أما القرآن الكريم فقد نشر هذه الدعوى في عدة آيات وأود أن أقرأ عليكم الآن بعضًا منها، لقد قال الله ﷻ في سورة الأنعام: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٦) أي أن هذا القرآن كتاب وشريعة مباركة، أي قد اجتمعت إليه محاسن جميع الكتب السماوية وحقائقها الأساسية، فاتبعوا الآن هذا الكتاب المبارك، اتباعا كاملا. ﴿فاتَّبِعُوهُ﴾ وستنالون بذلك فائدتين، أولهما أنكم ستصبحون في ملاذ الله، وسيكون الله جُنة لكم، وسيعصمكم من جميع الوساوس الشيطانية، لأنه بدون اتباع هذا الكتاب المبارك لا يتحقق عرفان السبل

الصحيحة للتقوى، ولا ينال حماية الله ﷻ الكاملة بالسير عليها، والنتيجة الثانية أنكم ﴿تُرحَمون﴾ أي ستستحقون رحمة الله، ونتيجة لإنعاماته الكثيرة ستنالون رفاهية مادية وروحانية أيضا.

وكذلك قال الله ﷻ في الآية ٩٣ من سورة الأنعام: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أن هذا القرآن كتاب عظيم أنزلناه، وهو جامع لكل أنواع البركات لجميع الأمم السابقة. ﴿مُبَارَكٌ﴾ ونزل بحسب البشارات والنبوءات الواردة عن هذا الكتاب في الكتب السابقة. كما يصدِّق الحقائق الأساسية والهدايات الواردة في الشرائع السابقة كلها، (أي هو قد شملها كلها وقد جُمعت كلها فيه) وكذلك هي ثمرة أدعية إبراهيم وتضحياته، لذا أخبر أهل مكة والعرب أن الشريعة الكاملة التي وعدتم بها قد تحقق الوعد ونزلت عليكم الشريعة الموعودة، وإذا أعرضتم عنها فكما أنكم قد أُنذرتم من قبل على لسان إبراهيم عليه السلام كذلك سينزل عليكم غضب الله وستُجرُّون إلى عذاب النار.

في هذه الآية ورد هذا المضمون بكل وضوح أن لـ ﴿مُبَارَكٌ﴾ علاقة بالنبي الأكرم ﷺ ونبوءات إبراهيم عليه السلام، وهذا قد ورد بوضوح في ﴿لِتُنْذِرَ... حَوْلَهَا﴾.

فانطلاقا من كلا المعنيين صار بيت الله هذا مباركا حين بعث النبي ﷺ، فخُلق في قلوب العالم حبُّ مكة، ونزلت في مكة الشريعة الإسلامية لسد حاجات العالم.

الهدف الثالث لبناء الكعبة قد بينه الله في هذه الآيات أنه هدى للعالمين، أي سيُجعل مركزا لهداية العالمين، أي ستنزل هنا شريعة لن تكون لها علاقة بقوم معين أو زمن معين بل ستكون لها علاقة بالعالمين، أي بالشعوب والأمم كلها، وجميع بقاع العالم وبجميع الأزمنة.

الأمر الأول الجدير بالتذكر في هذا الخصوص أن كفاءات الإنسان عند نزول الكتب السماوية السابقة لم تكن تتحمل الشريعة الكاملة، لذا لم تدَّع إحداها أنها للعالمين ولكل زمن، فلم تَنشر أي شريعة قبل القرآن الدعوى أنها للعالمين بهذا المعنى. إنما القرآن وحده أعلن هذه الدعوى، وإنما النبي محمد ﷺ وحده نادى العالم كلَّه قائلا إني رسول الله إليكم جميعا. ففي القرآن الكريم آيات كثيرة بهذا المعنى، وكنموذج سأتناول بعضها هنا.

يقول الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٩٠) أي قد أنزلنا عليك كتابا قد ذُكر فيه كل شيء وكل تعليم كنا نريد بيانه للرقي الروحاني للبشر، أي أن التعاليم التي كانت ضرورية في علمنا الكامل للرقي الروحاني الأعلى للبشر قد بيَّناها في هذا الكتاب.

وقال في آية أخرى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٩) أي قد ورد فيه كل ما يحتاج إليه الناس من تنمية صحيحة ترفع كفاءاتهم وتصل بها إلى مرحلة الكمال، ولم يبق أي تعليم خارجه، ولذلك أعلن الله ﷻ في القرآن الكريم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٤) أي بواسطة القرآن الكريم قد بلغ الدينُ كمالَه والنعمُ الروحانية تمامها، والآن يمكن نيل رضوان الله ﷻ بواسطة الإسلام وحده.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسير هذه الآية:

"إن القرآن الكريم وحده أعطى تعليما كاملا وأن عصرَ القرآن وحده كان جديرا بأن يعطَى فيه تعليمٌ كامل. فإعلان التعليم الكامل الذي قام به القرآن كان من حقه هو فقط، ولم يقم أي كتاب سماوي آخر بمثل هذا الإعلان. وكما هو واضح على القراء أن كلّا من التوراة والإنجيل قد انسحب من هذا الإعلان" (البراهين الأحمدية الجزء الخامس، الخزائن الروحانية ج ٢١ ص٤)

فقد قال توضيحا لما قال عن التوراة والإنجيل: إن التوراة قالت إنه سيُبعث نبي من إخوتكم، وسوف يُسمعكم الكلام الكامل لله والذي لن يسمع له ولن يتبعه فسوف يؤاخذه الله تعالى. فلو كانت التوراة كاملة لما كان هناك احتمال لنزول مثل هذه الشريعة التي إذا لم يؤمن الإنسان بها صار محل غضب الله تعالى.

أما الإنجيل فقد تخلى بإعلانه أن هناك أمورا كثيرة قابلة للبيان لكنكم لا تطيقونها الآن، لأن كفاءاتكم لم تكتمل بعد.

فقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

لإثبات صدق الإسلام ثمة دليل عظيم أنه من حيث التعليم ينتصر على كل دين ولا يقدر على منافسته أي دين من حيث التعليم الكامل. (البراهين الأحمدية الجزء الخامس، الخزائن الروحانية ج ٢١ ص٤)

ولأن القرآن الكريم والإسلام يغلبان كل دين، فقد أعلن الله ﷻ أمام العالم ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨٢) ولقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في تفسيرها أن المراد من الحق هنا الذاتُ الإلهية والنبيُّ الكريم ﷺ والقرآنُ الكريم أيضا.

إذن فهذه الآية تعني أن الله تعالى قد ظهر بجلال بواسطة القرآن الكريم والنبي الكريم ﷺ ونتيجة لهذا الظهور الجلالي قد هرب الشيطان مع جنوده وثبت أن تعاليمه هينة وحقيرة، والتقاليد السيئة والبدع الشنيعة التي أقامها قد ظهر خبثُها، ومُنيت قبيلتُه بهزيمة نكراء.

فالقرآن الكريم أعلن أن لهذا الهدف حصرا قد نزل القرآنُ الكريم والنبي الكريم ﷺ. فقد قال الله ﷻ في سورة التوبة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣)

هنا أود أن أخبركم ضمنيا أن الكلمات ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ من هذه الآية قد وردت في ثلاث آيات مختلفة في القرآن الكريم، وفي كل آية تبين معاني ومواضيع مختلفة. فقد قال الله هنا أن الله هو الكامل في ذاته وصفاته، قد بعث هذا الرسول بالهدى ودين الحق، والهدف من هذه البعثة والظهور، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي ليثبت على جميع الأديان فضل هذه الشريعة وهذا الرسول. عندما يثبت فضل الدين الحق فسوف يَثبت تلقائيا فضلُ من جاء بهذا الدين. فقد ورد هنا ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ومعناه أن جميع الأديان التي كانت موجودة قبل بعثة النبي ﷺ وكانت ملامحها وأشكالها قد

تبدلت، ستنهزم عند مواجهة الإسلام. فقد أودع الله تعالى القرآن الكريم الوسائل لذلك. ولقد أخبر فيها أيضا أنه إذا ظهر دين كاذب بعد الشريعة الإسلامية فسوف يغلبه أيضا الإسلامُ. فليس هنا أي شرط بأن يكون الدين الذي يغلبه الإسلام من الأديان السابقة فحسب. فمثلا قد اخترع البهائيون دينا جديدا لهم مقابل القرآن الكريم، والقرآن الكريم قد ادعى أن الأديان التي ستظهر بعد الشريعة الإسلامية فإنه يقدر على شج رأسها أيضا، لأنه كلام الإله الذي هو علام الغيوب، والذي هو عليم بما يظهر ويحدث في المستقبل، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يَثبت أمامه أيُّ دين قديم ولا جديد. فهو- بأدلته العقلية وحقائقه الروحانية وهداياته وفوزه بتأييدات ونصرة سماوية- يقدر على أن يغلب الجميع.

فقد أعلن القرآن الكريم أنه هُدًى للعالمين ثم أثبت أيضا هذه الدعوى عمليا.

كنت أخبرتكم أن أربعة معان لكلمة الهدى قد وردت في القواميس، والخطبة التي نُشرت عن أول معنى له، فيها شيء من الإبهام، وأريد أن أوضِّح ذلك.

فالمعنى الأول للهدى هو ما يحتاج إلى توجيهه العقلُ والفراسة. أي أن العقل والفراسة والقوى التي أعطيَها الإنسان للحصول على العلم والبحث فيه، لا تكفي وحدها بل هي الأخرى تحتاج توجيهًا من السماء.

فهذه الهداية قاسم مشترك في الناس كلهم، فلا علاقة لها بأي دين معين. ويقول القرآن الكريم أنه هو الذي يوجِّه هذا القاسم المشترك،

فالعقل كما قال المصلح الموعود أعمى إذا لم ينور طريقه الإلهامُ. فلكي يخبر الله ﷻ الإنسانَ أن القدرات المادية والكفاءات الروحانية وحدها لا تكفي- ما لم يقترن بها الفضلُ من الله ﷻ ولم يدبَّر لها التوجيه من السماء- قد أورد ﷻ في القرآن الكريم أمثلةً كثيرة. فأحد الأمثلة منها أن النحل يتلقى الوحي من الله، وهذا ليس مجرد ادعاء القرآن الكريم، بل قد أثبتت بحوث الإنسان بحسب التصرف الإلهي صدقَ هذه الدعوى بأسلوب لطيف جدا وبعظمة كبيرة. فالبحث الحديث الذي ظهر عن النحل قد ورد فيه أيضا أن ملكة النحل حين تبيض تتلقى الإلهام عن وضع البيضة وتخبَر هل سيولد من هذه البيضة ذَكر أو أنثى، وفي الخلية أماكن مختلفة، فالملكة تبيض التي ستخرج منها الذكور في مكان معين، وفي مكان آخر تضع البيض التي ستخرج منها الإناث، فالملكة تبيض بالآلاف، وفي كل مرة حين تبيض تخبر في الإلهام هل سيخرج من هذه البيضة ذكر أو أنثى.

فمن خلال هذه الأمثلة الكثيرة قد علَّم الله الإنسان ألا يتكل على قدراته وقواه وعقله وفراسته وعلمه وبحثه فقط. فلا يمكنكم الفوز بأي نجاح حقيقي ما لم ينزل الهدى لكم من السماء. ولما كان الله ﷻ هو الذي قد وهب العقل للناس كلهم، فالذين يعملون بالقوانين التي أعطانا الله ﷻ إنما يرشدهم الله بالوحي، ويلقي في عقولهم مواضيع جديدة حديثة، سواء في ميدان العقل أو العلم، وسواء أكان أحد مسلما أو مسيحيا أو ملحدا أو من أي دين، أو كان له علاقة بأي دين، أو لم

يكن له دين أصلا، فهذا لا يؤثر، لأن الله تعالى قد خلق العقل إرثا مشتركا للناس كلهم. يقول القرآن الكريم إنه إضافة إلى بعض الهدايات الأخرى التي تنزل من السماء فنحن نوجّه العقل أيضا، وقد بين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع بأسلوب لطيف جدا، أن الله تعالى بالوحي والإلهام يشحذ العقول، ثم إن العلوم التي تنمو وتتطور من الذهن الزكي يستخدمها القرآن الكريم كالخدم، يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"فيما يخص العلوم العقلية لإثبات وجود الله ومعرفة صفاته من الخالقية والتوحيد والقدرة والرحمة والقيومية والدينونة وغيرها، فقد استخدم القرآن طريق الاستدلال على وجه كامل. وبخصوص الاستدلال بيَّن بأسلوب لطيف جدًّا ومتوازن جميعَ العلوم ... وقد وظَّف العلوم المذكورة بروعة بحيث لم يوظفها أي إنسان من قبل". (الكحل لعيون الآريا، الخزائن الروحانية ج٢ ص ٧٢ الحاشية)

ومن كمال القرآن الكريم أن سائر الأديان يمكن أن تخضع لسيطرة العلوم السائدة المعاصرة، لكن الإسلام دين والقرآن كتاب لا يستسلم لأي علم عقلي، بل يعدّه خادما وينتفع منه.

المعنى الثاني للهدى هو الشريعة، التي تنزل من السماء، فهدى للعالمين يعني الشريعة للعالمين، أي لجميع العوالم والعصور، وإنما القرآن الكريم وحده هدى للعالمين، ولذلك خاطب رسول الله ﷺ العالم قائلا: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩).

فالقرآن الكريم زاخر بالتعاليم حول هذا الموضوع بأنه مرسل إلى جميع العالمين والعصور، فهو ليس دعوى كلامية فقط، بل حقيقة غير قابلة للدحض. واسمعوا تفصيل ذلك من لسان المسيح الموعود عليه السلام فقد قال:

"أي بقدر ما يوجد من المعارف الدينية السامية وحقائقها الطيبة وبقدر ما توجد النكات واللطائف من العلم الإلهي التي يحتاج إليها تكميلُ النفس في هذا العالم، وكذلك بقدر ما توجد أمراض النفس الأمارة، وثوائرها وبُعدها أو الآفات الدائمة أو ما يوجد لها من العلاج وتدبيرات الإصلاح، وبقدر ما توجد الطرق لتزكية النفس وتطهيرها، وبقدر ما توجد العلامات والخواص واللوازم للظهور الكامل للأخلاق الفاضلة؛ فإن القرآن الكريم يزخر بكلِّها باستيفاء تام. فلا أحد يقدر على اكتشاف حقيقة أو نكتة إلهية أو طريق للوصول إلى الله أو أسلوب طيب نادر للمجاهدة وعبادة الله، لم تندرج في هذا الكلام المقدس سلفًا." (الكحل لعيون الآريا، الخزائن الروحانية ج٢ ص ٧٤ الحاشية)

ثم بين الله سبحانه وتعالى تفصيل ذلك بعده، فإنما القرآن وحده أعلن أن كل هداية وحقيقة كان يحتاجهما إيصالُ النفس الإنسانية إلى الكمالات الروحانية تتوفر فيه كلُّها، إذا اتبعتموني فسوف تُحفَظون من الأمراض الروحانية، وتُفتح عليكم أبواب الترقيات الروحانية، وسوف تحرزون كمال أنفسكم.

وكل شريعة تدعي هذا ينبغي عقلا أن تدعي أيضا بأني أفتح عليكم أبواب معالي غير منتهية، والقرآن الكريم ادَّعى ذلك أيضا إذ قد قال تعالى

في بداية القرآن الكريم ﴿هدًى لِّلمُتّقِين﴾. أي مهما بلغ أحد أرفع مقام للتقوى وأعلاه فإن القرآن الكريم يفتح عليه سبلا أخرى للتقوى، ثم يتقدم، ويصعد إلى مرتفعات أخرى، ثم تظهر له معالي روحانية أخرى، وتنشأ في قلبه رغبة للوصول إلى هناك، ويمسك القرآن الكريم بيده ويقول له اتبعْني، فسوف أرفعك إلى أماكن أكثر رفعة، وهكذا تسير هذه السلسلة ولا تنتهي.

لقد بين المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام هذا الموضوع على وجهين، أولا أن الله ﷻ أنزل على النبي ﷺ فيوضا لا حصر لها، ولا يمكن حصر هذه الفيوض وتحديدها، ولما كانت فيوض الله ﷻ غير منتهية على النبي ﷺ، فالذين يصلّون عليه ويريدون البركة لحبهم الذاتي له ﷺ ينالون نصيبا من البركات غير المنتهية بقدر حماسهم، وفي هذا الخصوص قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في موضع آخر:

رأيت أن الفيوض الإلهية تتّجه إلى النبي ﷺ على صورة أنوار رائعة، ثم تسري وتنجذب في صدره ﷺ، ثم تخرج منه في قنوات وجداولَ لا تُحصى، وتَصِل إلى كلّ من يستحقّها بحسب نصيبه. (التذكرة "الحكم"، مجلد ٧، عدد ٨، يوم ٢٨/ ١٩٠٣/٣، ص ٧)

فدعوى القرآن الكريم أو الإسلام أنه هدى للمتقين، وموصلُ النفس الإنسانية إلى كمالاتها، تتحقق بحيث أن وجود النبي ﷺ في نظر الله وجود مقدس تنزل عليه رحمات الله غير المنتهية بانتظام، أو يمكن أن نقول أن تجلياتٍ غير محدودة لصفات الله ﷻ تنزل عليه ﷺ كل حين وآن، فكل من سيحبُّه، ويطلب له البركة والرحمة والسلام فسوف يرزقه

الله ﷻ جزاءً على حبه الذاتي نصيبا من تلك الفيوض باستمرار، وعندما سينال ذلك الرجل شيئا ببركة النبي ﷺ نتيجة عرفانه بأنه يمكن الحصول على بركات غير محدودة من هنا، ستنشأ في قلبه رغبةٌ في الحصول على بركات أكثر ومن ثم سيصلي عليه بحماس أكبر وبحب قلبي أكثر، فتنزل عليه بركات أكثر.

ثانيا قد قال المسيح الموعود عليه السلام عن القرآن الكريم أنه هو الآخر أعلن أنه يفتح على المؤمنين به ومتَّبعيه ومحبي النبي ﷺ أبواب أنوار غير محدودة وبركات غير محدودة ومقامات غير محدودة للقرب. فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٩).

قد أُفصح في هذه الآية أن الذين ينالون نورا في هذه الدنيا نتيجة اتباع الإسلام والنبيّ ﷺ فضلا من الله، فذلك النور كما يلازمهم في هذه الدنيا دوما، ويقودهم، وينوِّر عليهم السبل الروحانية، كذلك لن يفارق هذا النور المؤمنَ في العالم الآخر أيضا. ولا يخطرنَّ ببالكم أنه نتيجة لاتباع كامل للقرآن الكريم تفتح أبواب رحمة غير محدودة في هذا العالم فقط، كلا بل لن تنقطع هذه الرحمة ولن تُحَدّ بعد الموت أيضا. فسوف تبقى أبواب الرحمة هذه مفتوحة، كما قال في موضع آخر ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣)، وهنا ورد موضوع مقابله أن الذي سيملك النور في هذه الدنيا فسوف ينتقل معه ذلك النورُ إلى العالم الآخر أيضا، فلا يحدث أن تظل أبواب الرقي الروحاني مفتوحةً على

هذا الإنسان وتنغلق في العالم الآخر. وأنه بعد الانتقال إلى هناك حيث يكون موعد أكل الثمار بعد الحصاد سيكون حاله عاديا ولن يجد ترقيا أكثر! كلا بل قد خلق الله ﷻ للروح الإنسانية وسائل لنقل النور الذي يناله الإنسان في هذه الدنيا نتيجة اتباعه للقرآن الكريم وببركة النبي ﷺ إلى ما بعد الموت أيضا. وأن الله تعالى سيظل يفتح له أبواب الترقيات بانتظام، وسيظل ينير سبله، وسبيل الرقي الروحاني هذه لن تنقطع أبدا، لأن المسافات بين الله وعبده غير منتهية. فكيف يمكن تحديد مقامات القرب بين الله وعبده وتعيينُها؟ يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "فقوله تعالى عن الذين آمنوا أنهم لن ينفكّوا يدْعون ربهم أن يتمّ لهم نورهم، إنما هو إشارة إلى ترقيات غير متناهية، بمعنى أنهم كلما استكملوا درجةً من درجات النور .. تراءت لهم درجةٌ أخرى منه، فيرون كمالهم الحاصل نقصًا بالنسبة إلى الكمال التالي .. فيلتمسون من الله إحرازَ تلك الدرجة، فإذا أحرزوها .. تراءت لهم درجة ثالثة منه، فيعتبرون الكمالات الأولى ناقصة، ويطمعون في هذه الأخيرة. إن هذا النزوع المستمر للرقي يعبر عنه قولهم: ﴿أَتْمِمْ﴾.

إذن فهكذا سوف يستمرّون في حلقات من سلسلة غير متناهية من الارتقاء، ولن يصيبهم الانحطاط أبدا." (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية ج١٠ ص ٤١٢-٤١٣)

فالقرآن الكريم نشر هذه الدعوى ثم حققها أيضا، أي قد وُلد في الإسلام آلاف بل مئات الآلاف من عباد الله المقدسين الذين نالوا النور

من الإسلام، واستناروا من حب النبي ﷺ وحصلوا النور من القبس الذي أخذوه من عشق الله. ونالوا في هذه الدنيا ترقيات غير منتهية، أما الذي سيجدونه في الحياة الآخرة والذي كانوا قد وُعدوا به، فلا نستطيع حتى أن نتصوره، كما ورد في الحديث أنها نعم عجيبة لا تخطر ببال بشر.

المعنى الرابع كما أخبرتكم هو حسن الختام، أي الفوز بالجنة، وتحقق الغاية المنشودة من الحياة.

يقول الله ﷻ ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٦) أي أن الذين يعملون بتعاليم القرآن ويتمسكون به هم على الهداية الكاملة التي أنزلتْها الربوبية الكاملة لربهم، وأولئك هم المفلحون. الفلاح في العربية هو النجاح الكامل، الذي مقابله لا يعدّ أي نجاح نجاحًا، ولا يكون فيه أي نقص، ولا يكون فيه أي نوع من العيب، والذي هو النجاح الكامل. فقد قال الله ﷻ هنا إن الذين هم على هدى من ربهم (الذي ربى الناس وجاء بهم في زمن النبي ﷺ إلى مقام رفيع خاص ووهب لهم كفاءات وقدرات كاملة) فهم ينالون الفلاح أي النجاح الكامل والحقيقي، ويسبقون الأمم السابقة كلها.

والآن فقد بينت في هذه الخطبة شيئا عن هدفين من بناء الكعبة، أولهما ﴿مباركًا﴾ أي كان الله ﷻ يريد أن يجعل الكعبة مباركة، وببعثة النبي ﷺ صار بيت الله مباركا بكلا المعنيين. والثاني أن الله ﷻ كان يريد أن يرسل هنا هداية تعدّ ﴿هُدًى لِّلعالَمين﴾ من حيث كمال الشريعة ومن حيث إفاضتها أيضا. وهذا الوعد أيضا تحقَّق بواسطة القرآن الكريم. وإلا لم

تكن في مكة أي شريعة أخرى. أما الشرائع الأخرى فلم تعلن هذه الدعوى ولم تكن تقدر على ذلك. إنما القرآن الكريم وحده أعلن هذه الدعوى، وأثبتها في ميدان العمل أيضا، وبفضل الله ﷻ قد وُلد في الإسلام آلاف بل مئات الألوف من المقدسين الذين تدلّ حيواتهم على أن الذي يتبع القرآن الكريم ويتمسك بهداه، الذي عدّه الله هدًى للعالمين، ينال نصيبا من بركات الله غير المنتهية، وتكون عاقبته حسنة.

وكل ما كان يحتاجه إيصالُ النفس الإنسانية إلى الكمال، وإكمالُ تزكيته يتوفر في القرآن الكريم، لأنهم عملوا بالقرآن الكريم وأصبح وجودهم مباركا وكاملا في نظر الله، وأن شهادة الله الفعلية على أن هؤلاء كانوا في الحقيقة عباد الله المقربين، وفي المجالات الروحانية يتقدمون كل حين وآن. جعلنا الله ﷻ من هذه الفئة.

(نقلا عن جريدة "الفضل" اليومية، عدد ١٤/٥/١٩٦٧)

*****

إن بيت اللّه منبعٌ
للآيات البينات والتأييدات السماوية
التي ستدوم للأبد

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٢/٥/١٩٦٧

"كان الله ﷻ قد وعد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن بيت الله هذا سيصبح مصدر الآيات البينات والتأييدات السماوية التي تدوم للأبد، أي كان القصد من هذا البناء خلق أمة مسلمة تظهر بواسطتها آيات الله على العالم إلى يوم القيامة."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٨).

إنني أتناول في خطبي بيان ٢٣ هدفا أُمر سيدنا إبراهيم عليه السلام برفع قواعد الكعبة من أجل تحقيقها، وأخبركم كيف تم تحقيقها عن طريق سيدنا النبي الكريم ﷺ، ولقد أعربتُ عن أفكاري حول ثلاثة منها في خطبي الماضية.

الهدف الرابع من بناء الكعبة أو يمكن أن يقال إن وعد الله الرابع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام كان أنه ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، وأخبرتُكم أن الله سبحانه وتعالى كان قد وعد إبراهيم عليه السلام في هذه الجملة أن بيت الله هذا سيصبح مصدر الآيات البينات والخوارق والتأييدات السماوية التي ستدوم، أي كان الهدف من هذا البناء إقامة الأمة المسلمة، التي بواسطتها ستظهر آيات الله على العالم إلى يوم القيامة بانتظام.

ولقد أعلن القرآن الكريم أنه قد فُتح هذا الباب إلى يوم القيامة نتيجة اتباعه حصرا، وأنه في كل قوم وعصر سيظل يُخلق أناس ينالون نصيبا من بركاته، وأن الله على أيديهم سيُظهر آياته باستمرار.

لقد أعطي الأنبياء السابقون أيضا ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ لكنها كان مختصة بأممهم وزمنهم، ولم تكن لجميع بني البشر ولا لكل عصر، أما هنا في هذه الآيات فقد ورد حصرا هذا الموضوع أن لهذه الأهداف علاقة بجميع بني البشر، وبكل قوم وعصر، ولذلك قد جاء ﴿لِلنَّاسِ﴾ في البداية في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾.

وصحيح أن الأمم السابقة أيضا أُعطوا آياتٍ بيناتٍ لكن الآيات البينات التي لها علاقة بكل قوم وعصر قد أعطيت لمحمد رسول الله ﷺ حصرا. لقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٠) فقد ورد في هذه الآية موضوع فحواه أنه ببركة القوة القدسية لمحمد رسول الله ﷺ سيظل يُخلق أناس على الدوام يُعطَون كامل العلم والمعرفة، ونتيجة لتلك المعرفة الكاملة، ستكون في قلوبهم خشيةُ الله الكاملة أيضا، ونتيجة لذلك سيُخلق في قلوبهم حبٌّ كامل أيضا لربهم، وسوف يقدرون ربهم حق قدره. فلما كان الناس من هذا القبيل سيولدون على التوالي وبانتظام، لذا فالآيات البينات التي لها علاقة قوية بالقرآن الكريم أو يمكن أن يقال بتعبير آخر: إن الآيات البينات التي تجسدت في القرآن الكريم، سوف تصدر من صدورهم بانتظام، وأن العالم سيظل يتنور بنور القرآن الكريم هذا دوما، إلا أنه سيكون في الأمة المسلمة ظالمون أيضا، يغلقون عليهم أبواب فيوض القرآن الكريم هذه، ولا شك أن آيات الله البينات لن تظهر على أيدي هؤلاء. أما الذين ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي الذين يعطون علما

كاملا فسيُخلقون في الأمة المسلمة دوما للأبد، وأن باب الآيات البينات سيظل مفتوحا على الأمة المسلمة إلى يوم القيامة.

هذا ليس مجرد ادعاء، بل يشهد تاريخ الإسلام على أن الله ﷻ قد ملأ الأرض والسماء وكلَّ عصر بالآيات والخوارق لإثبات صدق الإسلام وصدق محمد رسول الله ﷺ، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

العلامة الثانية للدين الحق هي ألا يكون دينا ميتا، بل العظمة والبركة التي بُذرت فيه في بداية عصره يجب أن تبقى موجودة كما هي لصالح البشر إلى نهاية الدنيا لكي تصدّق الآيات الراهنةُ الآياتِ السابقة ولا تدَع نور الصدق أن يكون كالقصص فقط. لذا أكتب منذ مدة طويلة أن النبوة التي أعلنها سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ والأدلة التي قدمها ما زالت موجودة إلى يومنا هذا وينالها أتباعه ليصلوا إلى مقام المعرفة ويروا الإله الحي مباشرة. (مجموعة الإعلانات، إعلان ١٨٩٧/١/١٤)

كذلك يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

ثم معجزة القرآن الكريم الرابعة هي تأثيراته الروحانية التي ظلت محفوظة فيه منذ البداية، أي أن أتباعه يبلغون مراتب القبول في حضرة الله، ويُكرمون بمكالماته ﷻ. يسمع الله أدعيتهم ويجيبهم حبا ورحمة ويُطلعهم على بعض الأسرار الغيبية على غرار الأنبياء، ويميّزهم عن غيرهم بآيات تأييده ونصرته. هذه الآية أيضا ستبقى قائمة في الأمة المحمدية إلى يوم القيامة، وظلت تظهر منذ القِدم وما زالت موجودة ومتحققة إلى الآن. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية مجلد ٤ ص ٤٤٩)

كذلك يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

إن الآيات السماوية التي ظهرت ولا تزال تظهر بواسطة أولياء الأمة في الإسلام لتأييد سيدنا محمد ﷺ وإظهار صدقه، لن نجد لها مثيلًا في الأديان الأخرى. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي ظلّ يتقدّم ويزدهر من خلال الآيات السماوية على الدوام، وإن أنواره وبركاته التي لا حصر لها قد جعلت اللهَ قريبًا، فاعلموا يقينًا أن الإسلام بفضل آياته السماوية لا يواجه أي خجل أمام غيره من الأديان. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية مجلد ١٣ ص ٩٢)

بعد ذلك قدم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام نفسه للعالم، فقد أظهر الله مئات الألوف من هذه الآيات البينات على يده عليه السلام، فكان شخصه وكل لحظة من حياته شاهدا حيًّا على صدق الإسلام حيث كانت الآيات المتجددة تنزل من السماء كالمطر، وكانت العين التي عليها رباط التعصب وحدها هي المحرومة من مشاهدة تلك الآيات، أما الإنسان غير المتعصب الذي كان يملك قليلا من العقل والفهم لم يكن يسعه إنكارُ تلك الآيات. ولم تنقطع هذه الآيات البينات بعده عليه السلام، بل قد نشأ في الإسلام رونق وطلاوة نتيجة إحياء الدين. والباب الذي كان بعض الناس قد أغلقوه على أنفسهم لجهلهم، أثبت المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أنه ما زال مفتوحا ولم يغلق، وسلسلة الآيات هذه تستمر بعده بواسطة خلفائه أيضا. فكانت حياة سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه حياة أولئك الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، وكان هذا هو حال المصلح الموعود رضي الله عنه إذ قد شاهد العالم بواسطته مئات بل آلاف الآيات،

وهذا الباب لم ينغلق بعد حتى في هذا العصر. فقبل بضعة أيام كنت أستغفر الله ﷻ قبل الفجر، وكان قد أصابني خوف، وكنت أسأل ربي غفرانه، فشعرت فجأة أن قوة من الغيب قد استولت علي، وجرت على لساني "إقامة الدين" ثم انتقلت بهزة قد هزّت جسمي كله إلى عالم اليقظة، وفُهِّمت تأويل ذلك أن البرنامج الذي سأقدمه عن قريب للجماعة بواسطة سلسلة الخطب هذه سوف يقيم الله ﷻ به الدين. وسوف يهيء الوسائل لإحكامه. إن شاء الله.

فقد بدأ الله ﷻ سلسلة آلاف الآيات بواسطة المسيح المحمدي، لكن الجدير بالتذكر أنه لما كان الخليفة الراشد حائزا على مقام التفاني والعدم، لذا لا يذكر مثل هذه الأمور التي يعرب الله عنها لإظهار الحب فقط إلا الأمور التي كانت لها علاقة بنظام الجماعة، وكان إخبارها مهماً، بل إنني أستطيع القول بناء على تجربتي الشخصية، أن الله ﷻ ظل يَنهى الخلفاء الراشدين دوما عن الإفصاح عن مقام قربهم علنا، ولقد استنتجت ذلك من خلال تجربتي الشخصية وأحد أقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام والشهادات من التاريخ. فقد حفظ لنا التاريخ آياتٍ بينات معدودات فقط للخلفاء الراشدين السابقين، فمثلا في رأيي لم تذكر لسيدنا عمر رضي الله عنه أكثر من خمس أو عشر آيات فقط، أي الأنباء أو البشارات التي أعطيَها سيدنا عمر رضي الله عنه، فليس إلا بضعة منها فقط محفوظة في التاريخ، بينما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أنه جرت آلاف النبوءات والمكالمات والمخاطبات مع أولئك الخلفاء الراشدين العظام وأعطوا آلاف النبوءات.

إن كلام المسيح الموعود عليه السلام حق وصادق، لا يمكن إنكاره، لكن التاريخ صامت، ولا بد لنا من الاستنتاج أن هؤلاء ما كانوا يفصحون عن هذه الأمور للعامة إلا في حاجة، وفي الأمور التي لها علاقة بنظام الجماعة، وكان الكشف عنها ضروريا. فمثلا حين أثيرت فتن وفساد كثير ضد الجماعة في زمن ما، قال عنها سيدنا الخليفة الثاني رضي الله عنه إن الأمور التي أعرفها لو كشفتُها عليكم، لاستحال عليكم العيش. (لا أتذكر الكلمات بنصها لكن هذا هو المفهوم)

إنني أخبركم أن وعْد ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ الذي قُطع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام تحقق بواسطة سيدنا محمد رسول الله ﷺ، والتاريخ شاهد على ذلك، ثم شاهد العالم في حياة المسيح الموعود عليه السلام مئات الألوف من البينات، وبعده على أيدي خلفائه أيضا، ويُظهر الله سبحانه وتعالى الآيات على أيدي الصلحاء الآخرين الأحمديين أيضا بانتظام. وببركة المسيح الموعود عليه السلام قد تبينت هذه الحقيقة أيضا على المؤمنين بالمسيح الموعود عليه السلام بجلاء أن الأمور من هذا القبيل ينبغي ألا تقال عموما، لأن بيانها يولد الأنانية، وأحيانا يكون من الخطر على الإنسان أن يشتري غضب الله سبحانه وتعالى.

فبالقرآن الكريم وأسوة أولياء الأمة المحفوظة لنا في التاريخ ومعاملة الله سبحانه وتعالى المستمرة مع محبي النبي ﷺ والمتفانين في سبله سبحانه وتعالى يَثبت أن الآيات البينات موجودة في كل قوم وفي كل عصر وهو أمر غير قابل للدحض، ولها علاقة بالمسلمين فقط. أما أتباع الأديان الأخرى فلا يستطيعون أن ينشروا هذه الدعوى ولا يقدرون على إثباتها.

أُخبرنا أن **الهدف الخامس** من بناء الكعبة ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقد صدر الوعد أنه بواسطة المقام الإبراهيمي هذا ستُخلق دوما جماعةُ عشاق الله الذين سينالون مقام الفناء بإعراضهم عن جميع العلاقات المادية، وبالتضحية بأمانيهم من أجل الله ﷻ. إذا تدبرتم فستجدون أن الفوز بمقام إبراهيم ممكن نتيجة الآيات البينات حصرا، وإلا فلا. فللآيات البينات علاقة متبادلة عميقة بمقام إبراهيم. فلما كان بحر الآيات البينات يظل مواجا في الأمة المحمدية دوما، صار وجود مئات الآلاف من الصلحاء الفائزين بمقام إبراهيم ممكنا في الأمة المحمدية. فمقام إبراهيم في الحقيقة ظلٌّ لمقام محمد، لأنّ الوصول إلى مقام محمد رسول الله ﷺ عينِه مستحيل، ويتلوه مقام إبراهيم. فقد نال سيدنا إبراهيم عليه السلام نصيبا من هذه الآيات البينات في صورة ظلٍّ، ولقد أعلن القرآن الكريم أن الكثيرين من المؤمنين به سينالون مقام الفناء، فما هو مقام الفناء هذا؟ يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عنه:

"ومن جملتها أيضا مقام الحب الإلهي الذي يُثَبَّت عليه أتباع القرآن الكريم الكمَّل، فيؤثِّر حب الله في كل ذرة من كيانهم حتى يصبح حقيقةَ وجودهم بل يصير روح حياتهم. ويهيج في قلوبهم حبٌّ من نوع غريب للمحبوب الحقيقي، ويستولي على قلوبهم النقية أُنس وشوق خارق للعادة يقطع علاقتهم عن غير الله نهائيا. تضطرم نار حب الله ﷻ لدرجة يشعر بها ويشاهدها جلساؤهم بوضوح في أوقات خاصة، حتى لو أراد المحبون الصادقون إخفاء ثورة الحب بطريقة ما، لتعذر عليهم ذلك، كما يستحيل على العشاق الدنيويين أن يُخفوا عن

قرنائهم وجلسائهم حبهم لحبيبهم الذي يموتون لرؤيته ليل نهار. بل الحق أن ذلك العشق الذي امتزج بكلامهم وهيئتهم وعيونهم ووضعهم وطبيعتهم يترشح من كل ذرة من كيانهم ولا يمكن أن يخفى بإخفائهم قط، ولو بذلوا كل ما في وسعهم لإخفائه لظهرت علامة من علاماته حتما. وإن أعظم علامة على صدقهم هي تفضيلهم حبيبهم الحقيقي على كل شيء، وإذا أصابتهم الآلام منه فهم لغلبة حبهم يرونها إنعاماتٍ، ويعدّون العذاب شرابا عذبا. لا يمكن لحدّ سيف أن يباعد بينهم وبين حبيبهم، وليس لبليّةٍ عظمى أن تحول دون ذكرهم حبيبهم. فهم يحسبونه روحهم وراحتهم، وفي حبه يجدون متعتهم، ويرون وجوده هو الوجود الحقيقي، ويعدّون ذكره محصّلة حياتهم. إذا كانوا يبتغون أحدا فإياه ﷻ يبتغون، وفي ذاته وحده يجدون الطمأنينة. ليس لهم في العالم إلا هو، ويكونون له كليّا. من أجله يعيشون وفي سبيله يموتون. يعيشون في الدنيا ولكن لا علاقة لهم بها قط، يملكون قوى عقلية سليمة ولكنهم نشوانين في حبه ﷻ، لا يعيرون سؤددهم أدنى اهتمام، ولا لسمعتهم ولا لحياتهم ولا لراحتهم، بل يفقدون كل شيء من أجل ذات واحد، ويتخلون عن كل شيء لنيل حب ذات واحد. يحترقون بنار لا تُدرك، ولا يستطيعون أن يخبروا لماذا يحترقون. يصيرون صمًّا وبكمًا عن التفهّم والتفهيم، ويكونون جاهزين لتحمّل كل مصيبة وهوان وبه يتلذذون." (البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، ص ٤٥٠-٤٥١ الحاشية على الحاشية رقم ٣)

وكذلك رسم سيدنا المسيح الموعود ملامح هذه الجماعة المقدسة وبيَّن أنه بحسب الوعد الإبراهيمي، وبحسب البشارات التي أعطاها الله ﷻ لمحمد رسول الله ﷺ:

"مئات الآلاف من القديسين يشهدون على أن بركات الله تنزل على القلب باتباع القرآن الكريم، وتنشأ العلاقة الغريبة بالمولى الكريم .. ويودع في قلوبهم حب إلهي لذيذ يتربى بلذة الوصال. وإذا مُزقت قلوبهم ودُقَّت في هاون المصاعب وعُصروا في مَعاصر قوية، فلا يكون عصيرهم غير الحب الإلهي. الدنيا لا تعرفهم وهم بعيدون جدا عن الدنيا وأرفع عنها." (الكحل لعيون الآرية الخزائن الروحانية مجلد ٢ ص ٧٩ الحاشية)

هذا مقام إبراهيم الذي وُعد به سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتلقى بشارتَه محمدٌ رسول الله ﷺ من ربه، وإن الله ﷻ الصادق الوعد قد أثبت صدق هذا الوعد وخلق في الأمة المحمدية مئات الألوف من الذين بلغوا مقام إبراهيم.

الوعد السادس الذي قُطع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ورد في هذا الجزء من هذه الآيات ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وأخبرتُكم أن المراد منه أن الذي يحرز العبادات التي لها علاقة ببيت الله هذا، سيكون في ملاذ الله ﷻ من جحيم الدنيا والآخرة، وسوف تُغفر له ذنوبه السابقة، ويكون محفوظا من نار جهنم. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي أن الذي يدخل هذا البيت سيُحفظ من هذه النار، (التي أوقدها الله للمنكرين). فقد قال الله ﷻ في سورة النمل، ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ أي سوف يجزي الله ﷻ محرزي الأعمال الصالحة بحسب التعليم الإسلامي أحسن الجزاء

وسيكونون في ساعة نفخ الصور آمنين من خوف جهنم. عندها سيبشرهم الله ﷻ أنكم لن تساقوا إلى نار جهنم، بل سوف تساقون إلى الجنة، لذا لا تخافوا أدنى خوف.

كذلك قد قال الله ﷻ في آية أخرى، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦-٤٧) فهذا هو الأمن الذي يناله متبعو القرآن الكريم اتباعا كاملا بواسطته.

كان قد قال ﷻ: ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ثم أعطى الكلمات نفسها بالضبط للنبي الكريم ﷺ وقال له لقد وعدناك ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٨) فقد تحقق ذلك الوعد.

فله تفسير ظاهر وهو أن الله ﷻ هيأ الوسائل لفتح مكة، واستسلم كفار مكة (الذين كانوا قد نذروا حياتهم للقضاء على الإسلام) بدون الحرب، وقد خلقتْ في قلوبهم الملائكة النازلة من السماء خوفًا كبيرا ولم يتشجعوا على خوض المعركة.

وله معنى آخر أيضا وهو أنكم أنتم تلك الأمة التي تُحقق هذا الوعد الذي قُطع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام في ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فقد تحقق ذلك الوعد بواسطتكم. ولقد وضَّحت سابقا أن لجميع هذه الوعود علاقة بجميع بني البشر، وبكل قوم وبكل عصر. فهي لا تخص أي قوم أو عصر معين.

إذن فقول الله ﷻ: ﴿مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يعني أن الإنسان إلى أي قوم من أقوام الدنيا كان ينتمي وفي أي زمن كان؛ إذا أدى مناسك الحج

بصدق النية، فسوف يُحفظ من نار جهنم. فعن أبي هريرة قال النبي ﷺ "من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه" (واعلموا أن كلمتَي يرفُث ويفسُق وردتا في اللغة العربية يرفِث ويفسِق أيضا) أي من حج البيت واجتنب فحش الكلام أثناء أداء مناسك الحج، مما يعني أن يكون باطنه طاهرا لدرجة لا يجري معها على لسانه القولُ الفاحش. ولا يعني أن يتكلم بكلام فاحش بقية الأشهر الأحد عشر وبعض الأيام، واجتنب الرفث في هذه الأيام فقط. بل المراد أن الذي تطهرت دخيلتُه وابتعد الخبثُ عن صدره لدرجة يستحيل أن يجري على لسانه كلامٌ فاحش وقذر، والذي لا يخرج عن الحق والصلاح أي لا يتجاوز الحدود الشرعية، بل يتمسك بها ويؤدي حق الطاعة، فمثل هذا الرجل إذا حجَّ البيت بصدق النية ومع هذه الأعمال الصالحة ومع هذه الآداب الطاهرة، فقد وعده الله ﷻ أنه سيغفر له ما تقدم من ذنبه، فالذي غفرت له جميع ذنوبه السابقة، فمن المؤكد أنه معصوم من نار جهنم.

والإنسان يتقي نار جهنم من وجه آخر في هذه الدنيا والآخرة وهو أن من دخله أي دخل مقام إبراهيم، كان آمنا أي يكون في مأمن من الله.

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

في الله قدرات عجيبة جدا .. إلا أن قدراته العجيبة هذه لا تنكشف إلا على الذين يكونون له وحده، وإنما يتمكن من رؤية هذه الخوارق مَن يُحدثون في نفوسهم تغييرا طاهرًا، ويحرّون على عتباته، ويصْفُون مثل القطرة التي تصير لؤلؤة، ويذوبون بحرقة الحب والصدق والصفا، ويندفعون وينجرّون إليه، عندئذ

يُعنى بهم في المصائب ويحميهم من مكايد العدو ومؤامراته على نحو عجيب، ويحفظهم من مواقع الذلة، فهو يتولاهم ويتعهدهم، وينصرهم في المشاكل التي لا ينفع فيها أيُّ إنسان، وتأتي أفواجه لحمايتهم. فكم هو مدعاة للشكر أن ربنا كريم وقادر، فهل سوف تتركون ذلك العزيز؟ وهل تَتَعَدَّون حدودَه لنفوسكم الخبيثة؟ إن الموت لنيل رضوانه أفضل لنا من الحياة النجسة." (أيام الصلح، الخزائن الروحانية مجلد ١٤ ص ٣٤٢)

فهذا هو الأمن الذي يتحقق لشخص يورد على نفسه موتا، ويرتدي لباس الفناء ويدخل مقام إبراهيم. عندها تنزل جنود الله من السماء وتحفظه من كل أنواع العذاب، فالله ﷻ لا يسلط على عباده نوعين من النار. فمن عباده ﷻ من ينال مقام الفناء بعد الاحتراق في نار الحب، عندها تغلق عليهم أبواب النار الأخرى. ومن عباده من يراعون حبه ولا يشكرونه على حبه، ويكفرون برحمته، ويتوجهون إلى الدنيا مُعرضين عنه، ويحبون الدنيا بدلا من حبه ﷻ، فهم بدلا من أن يتخذوه حبيبهم يحبون علاقات الدنيا وقرباتها، وعلى مثل هؤلاء لا ينزل حفظ الله ﷻ ولا تنزل عليهم جنود الله، لكي تهيئ لهم الأمن، بل تُفتح عليهم أبواب جهنم، وتكون نارها مثواهم.

فالناران لا ترِدان على عباد الله ﷻ. الآن يتوقف الأمر على مشيئتهم، وهو مخيِّرهم في أن يختاروا نار الحب ويحرقوا بها الخبث ويجعلوه رمادا، ويؤْثروا الله ﷻ على نفوسهم وأمنياتهم وكيانهم وجميع حبهم وكل قراباتهم وعلاقاتهم، أو يفضلوا حب الدنيا على حب الله ويفتحوا بأيديهم أبواب جهنم على أنفسهم.

الوعد السابع الذي قُطع مع سيدنا إبراهيم عليه السلام أن هذا الحج لن يكون مكتوبا على نسله فقط بل سوف يُبعث هنا نبي تكون شريعته عالمية، وبعد نزول تلك الشريعة، سوف يكتب الحج على أمم العالم، وبذلك سيُجعل بيت الله هذا مرجع الخلق ومرجع العالم كله. فنحن نلاحظ أن هذا الوعد لم يتحقق قبل بعثة النبي الأكرم ﷺ، فلما بُعث حضرته ﷺ ونزلت عليه شريعة القرآن الكريم، قد كتب بها الله ﷻ الحج على جميع الناس، فقد قال الله ﷻ في البقرة: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٩٨) أي تذكروا يا بني الإنسان، أن أشهر الحج معروفة لدى الجميع، فمن عزم على الحج باعتباره مكتوبا عليه فعليه أن لا يرفث (مثل بقية الأيام) ولا يفسق ولا يخاصم، فكل هذه الأمور لا تجوز له. ثم قال: كل عمل صالح تنجزونه سيعرف الله قدرَه حتما، فلن ينظر هل تنتمون إلى البيض أم إلى السود، بل مهما كان انتماؤكم وفي أي بقعة من بقاع العالم كان مسكنكم، إذا اعتبرتم الحج عبادة ضرورية لكم بحسب ما قال الله ملبّين نداءه ﷻ، وعندما تتحقق بحقكم تلك الشروطُ التي لها علاقة بالحج، وحججتم باعتباره فريضة، وراعيتم خلال الحج أيضا جميع الوصايا التي أعطاكم الله بهذا الخصوص، فاسمعوا أيها الناس، أيَّ عمل حسن أنجزتم ستَكسبون به قدرا في نظر الله، وسوف يعرف صلاحكم، ولا يخفى عليه شيء. ونتيجة لهذا القدر سترثون نعم الله التي لا حصر لها. فقد قال المسيح

الموعود عليه الصلاة والسلام: إن حج بيت الله لا يعني حصرا أداء بعض المناسك في الظاهر فقط، بل خلف كل عبادة إسلامية روحُها، والعبادة الظاهرة لها صبغة جسدية، وخلفها روحُها. فالذي لا يهتم بالروح ويعشق الجسد فقط فكأنه يعبد ميتا، فلن ينال ثواب العبادة التي لم يراعِ روحَها، بل سوف يعامله ربُّه كما ينبغي أن يعامَل عابد الميت. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عن الحج:

"الأصل أن المحطة الأخيرة للسالك أن يغرق في حب الله وعشقه بالانقطاع عن النفس، فالعاشق والمحب الصادق يضحي بروحه وقلبه. والطواف حول بيت الله علامة ظاهرة لهذه التضحية. فكما أن بيت الله يقع على الأرض كذلك هنالك بيت لله في السماء أيضا، وما لم يطف الإنسان حول ذلك البيت، لا يتمكن الإنسان من هذا الطواف حول البيت أيضا. فالطائف حول هذا البيت الذي هو في الأرض ينزع كل ثيابه ويضع على جسمه ثوبا فقط، أما الطوَّاف حول البيت في السماء فيتعرى أمام الله تماما بعد نزع الثياب كلها. إن الطواف علامة لعشاق الله، فالعشاق يطوفون حوله كأنه لم يبق لهم أي مشيئة، وهم يضحون بأنفسهم حوله. (مرآة الحقائق، إعداد محمد فضل الجنغوي، مجلد ثالث ص ٢٦)

فهذا هو الحج السماوي، فما دام الإنسان لا يحج ذلك البيت لله ﷻ لا يُقبل منه الحج الأرضي أيضا. إذن يجب ألا ينسى الحجاج وعاقدو العزم على الحج هذه النكتة، فقد قمنا بالعبادات الظاهرية،

أما العبادة الباطنية التي يصدر عليها حكمُ الله، فلا نعرف عنها هل قُبلت أم لم تقبل. فلماذا إذن يتولد فينا أي نوع من التفاخر والعجب والإعجاب بالنفس والأنانية بعد هذه العبادة الظاهرة، فهذه الأمور تبعدنا عن ربنا أكثر. أما إذا تغنى أحد بأغاني الحمد في محل الشكر لله، فهذا جائز، إلا أنه أيضا يجب أن يصدر في الخفاء كما قال المسيح الموعود عليه السلام: حين يكون عبدٌ حبيبٌ لله مشغولا في عبادة ربه، ويسجد له بالتواضع والانكسار والبكاء إذا نظر إليه أحد في هذه الحالة، فهو يخجل من ذلك كما يخجل الغارق في العلاقات المادية عند نظر أحدٍ إليه.

فأمور الحب هذه لا تكون للإظهار، فإنما تكون سرًّا بين الله وعبده، ولذلك قال المسيح الموعود عليه السلام إن الدنيا لا تعرفهم لأنهم بعيدون عنها وأسمى منها. أما الذي يريد أن يقترب من الدنيا تاركا الله سبحانه وتعالى ويقوم بالخلود إلى الأرض مُعرضًا عن الرفعة والمعالي، لكي يُعرف في الدنيا ويُمدح، فقد اقترب من الدنيا لكنه ابتعد عن الله، وحرم نفسه من الرفعة والمعالي.

حفظ الله سبحانه وتعالى كلَّ واحد منا من ذلك، وكما قطع الوعود مع سيدنا إبراهيم عليه السلام وبشَّر محمدا رسول لله صلى الله عليه وسلم عن أمته وبحسب تلك البشارات قد خُلق إلى الآن مئات الألوف من القديسين ولا يزالون، وسيكونون في المستقبل أيضا؛ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يضمَّنا إلى جماعة المقدسين هذه ويبقينا فيها، فنحن لا نريد مدح الدنيا. إنما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يخلق وسائل يعرف بها أي حسنة في قلوبنا مهما كانت صغيرة

مثل حبة من خردل، ويجزينا على تلك الحسنة التي تماثل حبة من خردل بالحب واللطف، ويرضى عنا، آمين.

(نقلا عن جريدة الفضل اليومية، الصادرة في ربوة، ١٩٦٧/٥/٢١)

الوعد الإلهي
بإقامة الوحدة العالمية
من خلال جمع أمم العالم
على مركز توحيد واحد

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك بربوة

بتاريخ ١٩/٥/١٩٦٧

كما كانت الكعبة في البداية مركزا للبشرية، كانت الغاية من بناء بيت الله هذا أن يكون مركزا للوحدة الإنسانية. وقد اختير بيت الله لبعثة سيد الأنبياء محمد رسول لله ﷺ لكي يلتقي نبي الوحدة الإنسانية وقبلة الوحدة الإنسانية كلاهما في مكان واحد.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٦)

قد تكلمت في الخطبة الماضية عن سبعة أهداف من الـ ٢٣ التي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات والتي قرأت جزءا منها الآن أيضا، وأخبرتكم كيف تحققت تلك الأهداف نتيجة بعثة النبي ﷺ.

الهدف الثامن المذكور هنا قد ورد في كلمة مثابة، ولقد أخبرتكم أن هذا هو الهدف الثامن من بناء الكعبة من جديد، وهو أن هنا سيُبعث رسول يجعل جميع أقوام العالم أمة واحدة، وأنه ستنزل شريعة تُجمع بها جميع الأمم المتفرقة والمشتتة على مركز التوحيد والطهارة، وهذا الهدف أيضا تحقق بواسطة النبي ﷺ.

مثابة تعني في اللغة "مجتمع الناس بعد تفرقهم." (القاموس المحيط)، ومعنى آخر لها أنها مكان يكتب فيه الثواب، أي المكان الذي تصدر وتسجَّل فيه أحكام ثواب الناس وجزائهم.

فقد قال الله ﷻ إننا سنجعل هذا البيت بعد بعثة النبي ﷺ نقطة مركزية، تجتمع فيها من جديد الأممُ المتفرقة والمشتتة من العالم، ولن يبقى لهم مكان آخر يتوقعون منه الثواب من ربهم.

ولتحقيق هذا الهدف كما أخبرتكم سلفا قد بعث الله ﷻ محمدًا رسول الله ﷺ وأنزل الشريعة الإسلامية، وكما كانت الكعبة في البداية مركز الإنسانية، لأنه في زمن آدم عليه السلام كان نبي واحد فقط، وأمة واحدة فقط، وشريعة واحدة فقط، ولم يكن الناس قد انتشروا في العالم، ولم ينقسموا إلى أمم فكانت الكعبة هي مركز الإنسانية روحانيا في البداية. بعد ذلك بدأ نسل آدم عليه السلام ينتشر في العالم وسكنوا في المناطق البعيدة، وانقطعت علاقاتهم فيما بينهم، فبدأ الله ﷻ بعثة الأنبياء والرسل إلى كل قوم لتقدمهم الروحاني وتنميتهم، وبذلك لم يبقوا قوما واحدا روحانيا، بل انتشروا وافترقوا، وانقسم نسل آدم في أقوام.

فكما كانت الكعبة في البداية مركز البشرية، كان الهدف أن يكون بيت الله هذا نفسه مركزا للوحدة الإنسانية في العهد الأخير الذي هو أكمل العهود. وانتُخب بيت الله لبعثة سيد الأنبياء محمد رسول لله ﷺ لكي يجتمع نبي وحدة الإنسانية وقبلة وحدة الإنسانية في مكان واحد.

لقد سلط سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الضوء على هذا الموضوع بالتفصيل، وأود أن أقرأ على مسامع الإخوة مقتبَسَين من كلامه عليه السلام لهما علاقة بهذا الموضوع.

يقول عليه السلام:

"الناس في بداية الدهر كانوا قلة بل كانوا أقل عددا من أن يُدعَوا قوما، لذا كان كتاب واحد كافيا لهم. ثم حينما انتشر الناس في العالم وتكوّن في كل منطقة من مناطق الأرض قوم منفصلون، وجهل كل قوم عن أحوال

قوم آخرين جهلا تاما بسبب بُعد المسافات، اقتضت حكمة الله ومشيئته في تلك الأزمنة أن يُرسَل إلى كل قوم رسولٌ منفصلٌ ويُعطى كل قوم كتابا إلهاميا منفصلا، فهكذا كان. ثم حين ازداد عدد السكان في العالم وفتحت سبل اللقاءات المتبادلة وتيسرت لأناس في بلد أسباب اللقاء مع أناس في بلد آخر وعُلم أن الناس يقطنون في بقعة كذا وكذا في الأرض واقتضت مشيئة الله أن تجعلهم أمة واحدة مرة أخرى وأن يُجمَعوا بعد الفُرقة والتشتت، عندها أرسل الله تعالى كتابا واحدا لجميع البلاد وأمر فيه أنه كلما وصل هذا الكتاب إلى بلاد مختلفة في زمن من الأزمان يجب على أهلها أن يقبلوه ويؤمنوا به، وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي جاء لتوطيد العلاقة المتبادلة بين البلاد كلها. كل الكتب قبل القرآن الكريم كانت خاصة بقوم .. ثم جاء القرآن الكريم بعدها جميعا ككتاب عالمي وليس خاصا بقوم دون قوم، بل جاء للأقوام كلها. كذلك جاء القرآن الكريم لأمة كانت تنوي أن تصبح أمة واحدة رويدا رويدا. فقد تيسرت للزمن الراهن أسباب انخراط الأمم المختلفة في سلك الوحدة شيئا فشيئا. لقد سهلت اللقاءات المتبادلة التي هي الأصل لتكوين أمة واحدة، حتى أنه يمكن قطع مسافة كانت تستغرق سنوات في بضعة أيام. وقد اخترعت وسائل المواصلات، حتى أن الخبر الذي كان من المتعذر أن يصل من بلد بعيد في عام كامل يمكن وصوله الآن في ساعة واحدة. لقد حدث في العصر انقلاب عظيم، وقد اتجهت أمواج بحر الحضارة إلى جهة بحيث يبدو صراحة أن الله تعالى يريد أن يجعل الأمم المنتشرة في العالم كله أمةً واحدة،

ويجمع من جديد بين المتفرّقين منذ آلاف السنين." (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية ج٢٣ ص٧٤-٧٦)

وكذلك قال حضرته عليه السلام في موضع آخر: ولأن زمن نبوة النبي ﷺ ممتدٌ إلى يوم القيامة، ولأنه خاتم الأنبياء، لذا لم يرد الله أن تبلغ الوحدة بين الأمم كمالها في حياته ﷺ لأن ذلك يدل على نهاية عصره. بمعنى أنه كان من شأن ذلك أن يثير شبهة وكأن زمنه قد انتهى عند تلك النقطة إذ إن مهمته الأخيرة قد تمت في ذلك الزمن. لذا أجّل الله تعالى إكمال مهمة كون الأمم كأمة واحدة وعلى دين واحد إلى فترة أخيرة من زمن النبي ﷺ الذي هو زمن قرب القيامة. ولإكمال هذه المهمة عيّن نائبا له ﷺ من الأمة نفسها، وقد سُمّي باسم المسيح الموعود، وهو الذي اسمه خاتَم الخلفاء.

إذًا، إن النبي ﷺ في صدر العصر المحمدي وفي آخره المسيحُ الموعود، وكان ضروريا ألا تنقطع سلسلة العالم ما لم يُبعث هو لأن خدمة تحقيق الوحدة بين الأمم أنيطت بمنصب هذا النائب للنبي ﷺ. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي ليرزقه غلبة عالمية. ولأن الغلبة العالمية لم تتحقق في زمن النبي ﷺ ومن ناحية ثانية لا يمكن أن تبطل النبوءة الإلهية لذا فقد اتفق جميع المتقدمين الذين سبقونا فيما يتعلق بهذه الآية أن هذه الغلبة سوف تتحقق في زمن المسيح الموعود إذ لا بد للغلبة العالمية أن تتضمن ثلاثة أمور لم توجَد في أيّ زمن خلا.

(١) أن تفتح بين الأمم المختلفة سبل سهلة ومواتية للقاءاتهم المتبادلة بالتمام والكمال، وأن تزول صعوبات السفر الشاقة.

(٢) والأمر الثاني الذي يشكّل شرطا للفهم بأن دينا معينا غالب على الأديان كلها من حيث مزاياه هو أن تستطيع أمم العالم كلها عقدَ المناظرات بحرية تامة، ويستطيع قوم أن يقدموا أمام قوم آخرين محاسن دينهم، ويبينوا مزاياه ونقائصه بواسطة التأليفات. وأن يجد الأقوام كلهم فرصة لأن يجتمعوا في ميدان واحد من أجل الصراع الديني ويهاجموا بعضهم في النقاش الديني، وينبغي ألا يتم هذا الصراع الديني بين قوم أو قومين فقط بل يجب أن يكون عالميا.

(٣) الأمر الثالث الذي هو شرط للإظهار على العالم أن دينا كذا يحظى بتأييد الله بوجه خاص مقابل أديان العالم كلها ويحالفه فضل الله ونصرته الخاصة، وهو أن يحالفه تأييد الله والآيات السماوية مقابل الأمم الأخرى كلها في العالم دون أن يوجد نظيره في أيّ دين آخر، ... وألا يقدر دين من أقصى العالم إلى أقصاه على مبارزته في الآيات السماوية مع أنه لم يبق جزء من سكان العالم غافلين عن دعوة المبارزة هذه. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية ج٢٣ ص٩٠-٩٤)

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: لقد صارت أوضاع العالم الآن بحيث يمكن تصارُع أديان العالم كله في مجال الدين والروحانية، فيمكن أن تجمع جميع الأمم ممثليها في مكان وتبارز الأديان الأخرى. ولما كان سيدنا المسيح لموعود عليه السلام قد بارز أديان العالم في ميدان الدين، فقد بدأت هذه المواجهة في عصره. بمناسبة الجلسة السنوية الماضية كنت أيضا قد طرحت شتى

الدعوات على العالم، وإذا وفَّقني الله ﷻ للجولة إلى أوروبا، فأنا أنوي أن أكرر تلك الدعوات في البلاد المسيحية، وأدعوهم لمواجهة الإسلام في أجواء الأمن والصلح، ليثبتوا صدق أديانهم إذا كانوا يعدُّونها حقا، وإنني آمل من ربي، أنهم إذا برزوا إلى ميدان الفصل، فسوف يخلق الله وسائل وأسبابا تقودهم إلى الاعتراف بهزيمتهم أمام العالم. إن شاء الله تعالى.

فالهدف الثامن هو خرط أمم العالم كله في سلك الوحدة. ولقد وعد الله ﷻ تحقق هذا الأمر بواسطة النبي الأكرم ﷺ وكما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بكل وضوح أن تحقق هذا الهدف يرتبط بالجماعة الإسلامية الأحمدية، ونتيجة لذلك تقع على الجماعة الأحمدية مسؤولياتٌ كثيرة وجسيمة. وعليَّ وعليكم جميعا الالتفاتُ إليها.

فالهدف الثامن هو ﴿مَثَابَة﴾، والبين الجلي أن هذا الهدف لم يتحقق إلا بواسطة النبي ﷺ ولم يكن أحدٌ غيرُه يقدر على ذلك. لأن أي نبي آخر لم يُعطَ شريعة غير مختصة بقومه وزمنه فقط، إنما النبي ﷺ وحده قد أعطي من الله ﷻ شريعة تسدُّ جميع حاجات البشر، والتي لها علاقة بكل أقوام العالم إلى يوم القيامة. والوعود التي تلقَّاها النبي ﷺ من الله ظلت تتحقق في أوانها. وعن هذا الوعد يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أن زمن تحقُّقه عصرُ المسيح الموعود وأن مسؤولية تحقيقه تقع على أكتاف الجماعة الأحمدية، وفَّق الله ﷻ الجماعة لذلك.

الهدف التاسع المذكور في هذه الآيات قد ورد في كلمة ﴿أمنا﴾. ففي ﴿مَثَابَة﴾ كان ذكرُ توطيد العلاقات الدولية على أسس محكمة، ولإحكام

علاقة الأخوة العالمية من الضروري أن تُخلق وسائل سكينة القلوب في إقامة السلام الدولي والعلاقات المتبادلة بين الأمم، وتُهيأ لها الوسائل أيضا. فكان التأكيد أن الوعْد بجعل البيت مثابة أيضا سينجز، وسينجَز هذا الوعد بتأمين السلام العالمي الذي يلزمه. وأن الشريعة التي ستعطى للعالم بواسطة محمد رسول الله ﷺ ستتضمن التعليم لإقامة السلام العالمي. وكان الوعد أن السلام الحقيقي يمكن أن يسود العالم بالعمل بهذا التعليم حصرا، الذي سيقدِّمه للعالم خاتمُ النبيين المبعوث من مكة، لأن هذه الشريعة الأخيرة ستُودَع الوسائل لتنمية جميع الكفاءات والقدرات الطبعية على وجه صحيح. وأن العقل الإنساني سيطمئنّ بتلك الوصايا، وسوف تطمئن به القلوب أيضا.

التعليم الذي يتضمنه القرآن الكريم لإقامة السلام الدولي مفصَّل، ولا أريد أن أخوض في بيانه. وقد ناقش ذلك سيدُنا المصلح الموعود بالتفصيل في كتابيه "الأحمدية أي الإسلام الحقيقي" و"النظام الجديد"، فقد بيَّن في هذين الكتابين أن في القرآن الكريم خمسة أمور أساسية لإقامة السلام الدولي. فما دام العالم لا يعمل بتلك المبادئ، لن تنجح أي منظمة عالمية. لقد فشلت عصبة الأمم سابقا ونشاهد منظمة الأمم المتحدة أيضا تتجه الآن إلى الفشل. وأكبر سبب لذلك- وينبغي أن نقول هو السبب الوحيد- أن الناس لم يلتفتوا إلى التعليم الذي قدمه القرآن الكريم لإقامة السلام العالمي، ولم يتبنَّوه. ومن ثم يواجهون الفشل باستمرار نتيجة إعراضهم عن تلك المبادئ. ولقد ذكر سيدنا المصلح الموعود في كتبه بالتفصيل أن العالم يقوم بعقد نوعين من العهود في الوقت الواحد بدلا من العهد العالمي الوحيد

بحسب المبادئ التي بينها القرآن الكريم. فأحدهما يتعلق بجميع الأمم، وهناك عهود تعقدها الأمم الكبيرة فيما بينها. ولما كانت قدماها في سفينتين، فإنهم يواجهون الإخفاق. فالعهد الذي عقد في الأمم المتحدة نفسها أدغم فيه عهدٌ آخر. فبدلا من أن يكون عهدا دوليا قد اتخذوا فيه حق الفيتو. أي قد مَنحت منظمة الأمم المتحدة بعض الأمم الفضيلة بحيث لن تحسم القضايا بدون رأيها. مع أن القانون الذي ينفذ على الأفراد لا يفرق بين الغني والفقير والقوي والضعيف، كما لا ينبغي ذلك إذا كان المطلوب إقامة الحكومة التي تنفذ القانون في البلد، كذلك من الضروري ألا تفضَّل أمة على غيرها في العقود الدولية، وإذا فُضلت فسوف يفشل ذلك القانون العالمي حتما.

لقد علَّمنا القرآن الكريم ألا تفضِّلوا أمة على أخرى، لكن هؤلاء زعموا أنهم أقوياء جدا، ويقدرون على فعل كل شيء بقوتهم، فأعطوا حق الفيتو لأمم معينة، وبعضها قد استأثرت ببعض الحقوق لها دون الأمم الأخرى، وأكبر سبب لفشل الأمم المتحدة ينحصر في أنهم عند عقد العهد لم يعقدوا عهدا موحدا عالميا يسري على الجميع، بل قد ضمنوه بعض العهود الداخلية الفردية، التي لها علاقة بأمم معينة، ولم تكن تشمل جميع الأمم.

والتوجيه الثاني الذي أعطاناه القرآن الكريم (بخصوص إرساء دعائم الأمن الدولي) هو أنه يجب الاهتمام باتخاذ القرار بسرعة وحسم القضية عند حدوث الشجار والخصومة، لكن دستور العالم اليوم صار يقتضي إطالة النزاع لكي يجنوا لأنفسهم بعض المنافع الخاصة، وبذلك لا يمكن أن يتحقق الأمن في العالم.

التوجيه الثالث أن التعصب الإقليمي في العهود الدولية ضارٌّ، بل قاتل. بدليل أن العقد العالمي الذي ظهر في العالم في صورة منظمة الأمم المتحدة العالمية، فإن الدول التي كانت تمثّل أعضاءها المؤسسين، بل كانت ساعدا لها، بدأت تعقد عقودا خاصة منفصلة، والأقوام التي كانت لها علاقات شخصية بها بدأت تبدي التعصب والانحياز بحقها.

فقد قال القرآن الكريم إن السلام العالمي لا يمكن إلا إذا لم تُتخَذ مواقف انحياز إلى أمم معينة دون غيرها، ويجب ألا تعقد أي أمةٍ العزم على تأييد الأخرى بغير حق.

الأمر الرابع الذي يعاديه القرآن الكريم ويدعمه هذا العالم الغاشم، هو أن النزاع حين يطول فبدلا من أن يعقدوا الصلح، يقترحون معاقبة بعض الأمم بناء على العنصرية، وحيثما تسنح لهم فرصة يقسمون البلاد، فقد قُسمت ألمانيا. وهذا هو حال كوريا وفيتنام أيضا، وكل ذلك بحضور الأمم المتحدة، وذلك كله يحدث أمام عينيها رغم ادعاءاتها بأنها منظمة لإرساء دعائم الأمن الدولي.

يقول القرآن الكريم أنكم إذا مشيتم تحت ظلي فسوف تتمكنون من إقامة الأمن الدولي، وعندما ستخرجون من ظلي فسوف تزعجكم حرارة شمس الشيطان، ولن تتركككم تستريحون.

والتعليم الخامس الذي أعطاناه القرآنُ الكريم أنكم إذا أردتم إقامة الأمن الدولي، فلا بد أن تضحي كل أمة من أجله، أما ما يجري الآن في الساحة هو أن بعض الأمم تضحي وبعضها ترفض. فتعليم القرآن الكريم هو الوحيد الذي بالعمل به يمكن إرساء دعائم السلام العالمي.

لقد أخرج سيدنا المصلح الموعود ﵁ نتيجة هذا النقاش كله في كتابه "الأحمدية أي الإسلام الصحيح" فقال:

لو أزيلت هذه العيوب الخمسة لتشكلت هيئة الأمم التي يشير إليها القرآن الكريم. والحق أن هذه الهيئة هي التي يمكن أن تكون ذات فائدة، وليست تلك التي تفتقر إلى تعاون وتعاطف الآخرين من أجل بقائها. (الأحمدية أي الإسلام الحقيقي، أنوار العلوم ج٨ ص٣١٦)

ثم قال حضرته في كتابه "النظام الجديد":

لا يمكن أن تنجح العصبة، بحال من الأحوال وإنما العصبة الوحيدة التي يمكن أن تنجح هي تلك التي كانت بحسب توجيهات القرآن الكريم فقط. (النظام الجديد، أنوار العلوم ج١٦ ص٥٦٦)

كما أخبرتكم أن من وعود الله ﷻ أن العالم كله سينخرط في سلك واحد، وستقام الوحدة العالمية.

ثم قال: من الضروري لإقامة الوحدة العالمية أن يقدَّم ضمان للسلام العالمي، وأعلن أنكم إذا عملتم بأوامر شريعة القرآن الكريم فإنها تقدِّم ضمانا للسلام العالمي، فإذا نشأت النزاعات في أمم العالم كله فسوف تُحسم بحسب مبدأ العدل والإنصاف، ولن يتضرر الأمن بصدمة. فقد أعطى القرآن الكريم بالتفصيل هذا التعليم الذي إذا صدر العمل به أمكن إقامة الأمن في العالم. ولما كانت مسؤولية تحقيق الهدف في ﴿مَثَابَةً﴾ تقع على عاتق الجماعة الأحمدية، لذا من الواجب عليها أن تنشر بكثرة هذا التعليم في العالم الذي أعطاناه الله تعالى لإرساء دعائم السلام في أمم العالم. لأنه إذا بقي العالم في

ظلام فيمكن أن يقولوا يوم القيامة: ربَّنا، لم يكن عندنا علم بهذا، والذين كانوا يعلمون وألقيتَ على عاتقهم مسؤولية نقل هذا العلم إلينا، لم ينقلوه لنا، لذا لا تؤاخذنا وأَنزلْ غضبك على الذين هم مذنبون. وقانا الله غضبَه.

الهدف العاشر لبناء بيت الله ﷻ ذُكر في قوله تعالى ﴿اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وأُخبرنا فيه أنه بواسطة مكة وبيت الله وببركة النبي العظيم المبعوث فيها ستَنال أقوام العالم عرفان مقام العبودية. وسيوضع هنا أساس العبادة الحقيقية التي تنفجر من منبع التذلل والتفاني والتواضع. وبذلك سيولد في كل قوم ظلالُ محمدٍ رسول الله ﷺ وستقام مراكز لنشر الإسلام في كل أرجاء المعمورة. حيث يصدر الإقرار والإظهار بعظمة الله وجلاله بالأدعية الضارعة، ونتيجة لذلك التواضع والتذلل الذي سيصدر لنيل حب الله ورضوانه ﷻ فقط ستَنال تلك الأمم البركاتِ السماوية، وستستحق المغفرة.

فكان قد قال إنه بواسطة مكة وببركة الشريعة النازلة هنا، ستُخلق أمة تقيم الصلاة بكل معانيها وشروطها، وتتمسك بمقام العبودية بقوة.

في الحقيقة لهذا أيضا علاقة بالهدفين السابقين، لأن الوعد الثامن كان أن جميع الأقوام ستُجعل أمةً مسلمة، وواحدة. وهو يتعذر ما لم يتحقق السلام العالمي، فقد أعطى الوعد أولا ثم أنجزه في صورة شريعة القرآن الكريم، وأن ذلك التعليم الكامل عن الأمن والذي كان سيَخلق الأمن الحقيقي بين أمم العالم، قد أعطي للإنسان. والآن يخبر الله في الهدف العاشر أنه يستحيل العمل بهذا التعليم ما لم تتحلَّ الأمة المحمدية أي الأمة الموعودة بالتواضع

والتذلل. ولذا قال ﴿اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فبدون ذلك لا تستطيعون إقامة الأمن العالمي في العالم. فقد صدر الوعد هنا أنه بواسطة النبي ﷺ ستُخلق أمةٌ تتمسك بمقام العبودية بقوة. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن المتبعين الكمَّل للقرآن الكريم، الذين يعرفون مقام عبوديتهم ويتمسكون به بقوة، هم الذين:

"يختارون التذلل والفناء والتواضع دائما بعد مشاهدتهم لكبرياء البارئ تعالى. ويُدركون أن حقيقتهم هي الذلة والمسكنة والفقر والتقصير وإمكانية صدور الخطأ منهم، وأن جميع الكمالات التي أُعطُوها إنما هي مثل ضوء الشمس المؤقت الذي يقع على جدار مثلا دون أن يكون له علاقة حقيقية به، بل يكون قابلا للزوال مثل اللباس المستعار. فيرون الخير والمحامد كلها خاصة بالله تعالى وحده، ويعدّونه وحده مصدرا للخيرات كلها. وبمشاهدتهم صفات الله تعالى على وجه كامل، يمتلئ قلبهم بحق اليقين بأنهم ليسوا بشيء يُذكر، حتى أنهم يتخلون كليا عن وجودهم ومشيئتهم وأمانيهم، ويحيط بحرُ عظمة الله الزخارُ بقلوبهم بحيث يستولي عليهم ألف نوع من الفناء، ويتطهَّرون كليًّا من كل شائبة من الشرك الخفي." (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية ج١ ص٥٤٢-٥٤٣ الحاشية رقم ٣)

ولقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع آخر: "إن أركان الصلاة تتضمن إظهار الاحترام والتواضع. ففي القيام يقف المصلي ضامًّا يديه وِقفة العبد أمام سيده ومِلكه باحترام، وفي الركوع يركع الإنسان بتواضع، وأكبر انكسار يكمن في السجدة التي تُظهر حالة منتهى التواضع." (مرآة الحقائق،

مجلد ٣، مجموعة فتاوى أحمدية، مطبوعة ١٣٢٥ هـ، إعداد المولوي محمد فضل الجنكوي، ص ١٥)

لقد قال الله ﷻ هنا أننا سنظل نخلق بفضلنا في أتباع النبي الكريم ﷺ جماعةً تتمسك بمقام التواضع والتذلل والتفاني بشدة. ونتيجة لذلك التذلل والتواضع سيخلق الله الإمكانيات لقيام السلام الواردة في ﴿أمنا﴾ والتي علمناها القرآن الكريم بالتفصيل.

الجدير بالتذكر أن العبادة الحقيقية، تتربى بخمير (١) الحب والإيثار (٢) والتذلل والتواضع كليهما. لكنه أحيانا يبرز جانب الحب وأحيانا أخرى يبرز جانب التذلل والتواضع. حين يتجلى حسن الله وإحسانُه على الإنسان يمتلئ قلبه بحب ربه، وهو يلبي كل نداء له كالعاشق الولهان، ويطوف حوله، ويتفانى فيه مرتديا رداء العدم، ويرِد على وجوده موتٌ تام، وتوهب له من ربه حياة جديدة، لكن الدنيا لا تعرفه، وهو لا يبالي بذلك أيما مبالاة.

لكنه حين تتجلى عليه عظمة الله وجلالُه يفيض قلبه بعواطف الخوف والرجاء. وبعد تجلي عظمة الله وجلالِه لا تبقى له أي عظمة شخصية ولا الصلاحُ. إنه يرتدي ثوب الفناء ويتخذ التواضع شعارا له، ويتراءى مغبرًّا بغبار التذلل، ويتبنى سبل التواضع، وينيب إلى ربه بتواضع وبقلب خاشع خائفا متوجسا، ويُقر بعظمته وجلاله، وكل ذرة من جسمه وكل جانب من روحه يرتجف من خشية ربه. وإن تجلي العظمة والجلال هذا يقيمه على حق اليقين، بأن الخلق كله ليس شيئا ذا قيمة مقابل هذه العظمة، ولا يرجى منهم أي خير، ولا هم يقدرون على ذلك بذاتهم. وإذا كان

يمكن عقدُ الأمل بأحد فبالله وحده ذي الجلال والإكرام. عندها يتولد في قلبه الصافي الأمل والرجاء مع الخوف، ويعقد كل آماله بربه وحده، وعليه وحده يتوكل، ولسد حاجاته يطرق بابه ﷻ وحده، ويكون قلبه عامرا باليقين بأن كل ما يمكن أن يناله فمن هذه العتبات فقط، حتى لو كان شراك النعل أو شرف العالم كله.

فالذي تتجلى عليه هذه العظمة والجلال، فلا يكون من شأنه ولا يليق به أن يمسك بكيس الكشوف والرؤى ويزيّنه بوقائع إجابة دعائه ويَطرق كل باب ليتسول أهلَ الدنيا عزةً واحتراما وإعجابا وإشادة، ولا يَنشد أي احترام لنفسه في أنظار أهل الدنيا. فما الذي عسى أن يجده عند ميت؟ وما الذي عسى أن يعطيه الجثمان؟ فالذي جعله خوفُ عظمته وجلاله والأملُ في رحمته الواسعة شحاذا على بابه فهو لا يبرحه ويقضي حياته في الرجاء والخوف. عندها يرضى عنه ربُّه، ويجلسه لطفا منه في حضنه، وينال جنات الدنيا والآخرة. رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد بُشِّر بولادة أمة من هذا القبيل حصرا بواسطة سيدنا محمد رسول الله ﷺ. ووالله قد وفى بوعده. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(منقولا عن جريدة الفضل اليومية الصادرة في ربوة عدد ٢٨ مايو ١٩٦٧)

إن بيت الله مركز لإحراز الطهارة الروحانية والمادية وترويجها

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك، بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٥/٢٦

إن بيت الله نقطة مركزية وعُلمنا أننا سنُضطر لبناء ظلالها، أي تقليدا لها ولنيل الأهداف نفسها، ولخلق الطهارة والتزكية نفسها. ولن نجد بدا من فتح مراكز لهذا الأمر في كل مكان، تكون ظلالا لبيت الله وسيكون الهدف من بنائها نفس الذي من أجله بني بيت الله.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

تكلمت في الخطب الماضية عن عشرة أهداف لبناء بيت الله، وأبديت رأيي حولها، وقد أخبرتكم الآيات التي ظللت أقرأها في مستهل تلك الخطب بورود ٢٣ هدفا فيها، ولقد تكلمت قليلا عن عشرة منها من قبل.

الهدف الحادي عشر من بناء بيت الله مذكور في كلمة ﴿طهّرا﴾ أي دبّرا تطهير بيت الله هذا، وتنظيفه. وفي ذلك كانت إشارة إلى أن الله ﷻ يريد أن يجعل هذا البيت مركزا للنظافة الظاهرية والطهارة الباطنية. هذا الهدف أيضا قد تحقق ببعثة خاتم الأنبياء وأفضل الرسل محمد رسول الله ﷺ. ولقد أُعطينا في شريعته تعليما كاملا وشاملا عن الحصول على النظافة المادية الجسدية والطهارة الروحانية. يقول الله ﷻ في الآية ١٥١ و١٥٢ من سورة البقرة ما معناه، حيثما كنتم اِعملوا بحسب توجيهات الشريعة الإسلامية، وضعوا في البال دوما أنكم خُلقتم من أجل هدف خاص، وأغراض معينة، وتقع عليكم مسؤولية تحقيق هذه الأهداف، وإقامة الشريعة الإسلامية في أقوام العالم كلها، وأبقوها حية. يقول الله ﷻ إنني حين ألفت أنظاركم إلى أن تضعوا في الحسبان كل حين وآن الأهداف

المتوخاة من بناء الكعبة، وذلك لأني أريد أن أُتم عليكم نعمتي كما قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾. ولقد عرضت عليكم هذه الأهداف من أجل إتمام النعمة. وإذا سعيتم لتحقيق هذه الأهداف في ضوء توجيهاتنا، وبإخلاص النية فستستجيبون لأوامرنا. فالنعم التي ستنزل عليكم تكون من نوع يمكن أن يقال بحقها، إنها إتمام النعمة. ولقد قال الله ﷻ بعد قوله ﴿لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد أُرسلَ إليكم رسولٌ، يعلّمكم الطهارة.

ولما كان ينشأ طبعا سؤال: ربنا قد عرفنا الأهداف إلا أننا لا نعلم السبل التي تؤدي بنا إلى نيلها، ولو علمناها لكان تحقيقها أسهل علينا. فقال ردًّا على هذا السؤال في الآية رقم ١٥٢ إنَّ السبيل الذي يريكموها حبيبي محمدٌ ﷺ هي حصرا تؤدي بكم إلى الطهارة، والتي بالسير عليها يمكن أن تنالوا بركة تحقق أهداف بناء الكعبة، فقال ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢) أي قد وفرنا لكم وسائل تزكيتكم عن طريق هذا الرسول، وذلك لأنه يقرأ عليكم الآيات، ويعلمكم الكتاب ويبين لكم حِكمه.

فالهدف الذي ذُكر في طهِّرا، والذي أشير إليه في هذه الجملة، قد حققه النبي ﷺ، وقد أعلن ذلك القرآن الكريم نفسُه، أنه ﷺ يحقق هذا الهدف، لأن المسجد الحرام وضع الأهداف في البال. وإتمام النعمة، وتزكية النفوس وأساليبها كلها قد ذُكرت مع بعضها هنا في هاتين الآيتين.

في هذه الآيات من سورة البقرة نجد ذكر الطهارة العامة، والتركيز أكثر على الطهارة الدينية والروحانية. وفي الآية رقم ٧ من سورة المائدة قال الله ﴿وإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾، وفي ذلك تعليم أن الإسلام يرى تطهير

الأجسام وتنظيفها ضروريا. لذا قد بين النبي ﷺ بكل وضوح وتفصيل نظافة الجسم والملابس والبيت والبيئة والمساجد وحثَّ على الاهتمام بها، وكذلك أكَّد على طهارة اللسان والأنف والأذن والعين. ولا أريد أن أخوض الآن في تفاصيل هذا التعليم ولا يمكن لي ذلك. باختصار نتوصل نتيجة التدبر في القرآن الكريم (ولا يسع أحدًا إنكارُ ذلك) أن أيًّا من الأديان السابقة لم يركز على عُشر معشار تركيز الشريعة القرآنية على الطهارة المادية والمعنوية. لقد بُعث النبي ﷺ من أجل تحقيق الهدف الوارد في ﴿طَهِّرَا﴾. وجعل حضرته نيل هذا الهدف للأمة المسلمة ممكنا، لأنه ﷺ قد قادنا إلى كل طريق للطهارة. وقد بين لنا بالتفصيل كل تعليم عن النظافة والطهارة والتزكية، وسهَّل علينا العمل بهذه الوصايا. قبل هذا لم يحرز أي نبي إنجازا عظيما في هذه المجالات. فالهدف هو النظافة والطهارة، وكان النبي ﷺ قد جُعل وسيلة للفوز بهذا الهدف. وتقع مسؤولية تحقيق هذا الهدف على الأمة المسلمة، ومن بين المسلمين في هذا العصر على هذه الجماعة التي تم إحياؤها من جديد- من أجل الله ورسوله- ببعثة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. وفي هذه الآية أيضا قال الله تعالى إنا لا نريد أن نعسِّر ونشق عليكم وإنما نستهدف تطهيركم وإتمام منتنا عليكم. فلو لم يكن هناك تعليم طهارة ونظافة مادية إلى جانب الطهارة الروحانية لبقي إنعام الله غير تامّ ومنته ناقصة، لكن قول الله ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ اقتضى أن يُكمل منته ويتم نعمته، فقد أعطاكم هذا التعليم لكي لا يترك فيكم أي نوع من الخبث والدرن، ولكي يجعلكم مطهرين طهارة كاملة.

كذلك قد قال القرآن الكريم عن الماء أن له فوائد كثيرة، ومنها أنكم تتطهرون به وتغسلون ثيابكم وأوانيكم وتنظفون شوارعكم وبيوتكم وأجسادكم. فهناك آلاف أنواع الطهارة التي تحدث بالماء، ﴿مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ فالقرآن الكريم زاخر بذكر الطهارة المادية والباطنية، وإنما النبي ﷺ وحده مَن تحقَّق بيده هذا الهدف من بناء الكعبة.

الهدف الثاني عشر لبناء بيت الله مذكور في ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ وكان في هذه الكلمة إشارة إلى أن ممثلي أقوام العالم سوف يتوافدون هنا مرارا وتكرارا، لكي يتلقوا تعليم الطهارة والتزكية، ثم يعودوا إلى بلادهم لينشروا هذا التعليم. وهذا الهدف أيضا قد تحقق بوجه حقيقي بواسطة النبي ﷺ وحده. ولقد أمر القرآن الكريم نظرا لهذا الهدف: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

أي لم يكن ممكنا للمؤمنين أن يجتمعوا كلُّهم في مركز الإسلام. فالإسلام يخاطب أقوام العالم كله، واجتماع أقوام العالم في مركز الإسلام مستحيل في أي وقت، إلا أن ارتباط أقوام العالم القوي أيضا مهم جدا، ولذا قال الله ﷻ إننا نوصيكم أنه لما كان اجتماع الجميع هنا مستحيلا، لذا من المفضل أن تخرج أمة منهم ليتعلموا الدين جيدا، لكي يجنبوا قومهم من اللادينية عند العودة إليهم، ويحموهم من الضلال، من خلال الإنذار والتخويف.

فهنا قد أمر الله ﷻ الأمة الإسلامية التي تشكل أقوام العالم وهي منتشرة في أرجاء المعمورة، أن تأتي جماعةٌ ممثلة من كل قوم إلى المركز

بانتظام لكي تتعلم الدين وتطَّلع على حاجات العصر، وتعرف أي نوع من التضحيات يقتضيه الإسلام في العصر الراهن، وتعرف إلى أي الأعمال والمشاريع يدعوهم إمامُهم الحالي، ولكي تتفقَّه وتتعلم حِكمَها. وذلك لأنهم حين يعودون إلى بلادهم فسوف يتمكنون من إخبار إخوتهم أن الإسلام في العصر الراهن يتعرض من الجهة الفلانية للهجوم، فاستعدوا للرد عليه، وأن طرق الدجل الفلانية تُستخدم ضد الإسلام. ولحماية الإسلام وبقائه وتقدُّمه وإحكامه يقدَّم لأبناء الجماعة المشروعُ الفلاني، فاستعدوا فكريا لتقديم هذه التضحيات وكونوا نماذج الإيثار واسعوا عمليا للاستباق في ذلك. فاستجابة لأمر الله ﷻ هذا كان ممثلو القبائل المختلفة يجتمعون عند النبي ﷺ في حياته، وكانوا يتعلمون الدين والقرآن الكريم، ويحفظون بعض أجزاء القرآن الكريم، ويتفقهون في الدين، وعلى هذا المنوال كانوا يخلقون الوسائل لإحياء الدين، فالذين كانوا يأتون إلى المدينة يضحُّون بوقتهم لتعلُّم الدين وتعليمه للآخرين. والذين كانوا يتعلمون منهم الدين هم أيضا بذلوا وقتهم في سبيل الله ﷻ ولو لم يفعلوا ذلك لاستفادوا شخصيا من الحضور إلى المدينة دون أن يستفيد منهم الآخرون. لكن الغاية المنشودة من هذا المشروع والبرنامج أن يأتي الناس من الخارج إلى المركز، ليتعلموا الدين ويطَّلعوا على ما يحتاجه الإسلام، ويُطلعوا عليها إخوتَهم الآخرين بعد العودة إليهم.

فلا يتحقق الهدف من الطواف ما لم يضحِّ الطائفون وهؤلاء الناس بأوقاتهم. لقد أخبرنا هذا أن الإسلام علَّم الطهارة والنظافة، وأن الله ﷻ

قد خلق أمة يضحون بأوقاتهم ويجتمعون في المركز لله ولرسوله، وعند العودة إلى إخوتهم يعلِّمونهم القرآن ابتغاء مرضاة الله ورسوله ويعلِّمونهم الدين، ويُطلعونهم على التدابير والوسائل التي تُتخذ لحماية الإسلام ونشرِه، ويخلقون في قلوبهم حماسا وانبساطا لتقديم القرابين في سبيل الله ﷻ.

وكان الأقوام والقبائل في ذلك العصر قد أدركوا واستوعبوا هذا الحُكم:

عن ابن عباس في هذه الآية: كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة، فيأتون النبي ﷺ. فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم، ويتفقهون في دينهم. (تفسير ابن كثير، تفسير سورة التوبة آية: وما كان المؤمنون)

أي أن طائفة من كل قبيلة من العرب يأتون إلى النبي ﷺ يسألونه عن أمور لا يعرفونها من قبل، ويصبحون على بصيرة ويتعلمون حكمة المسائل ويتقوَّون دينيا، ويتفقهون في الدين، ثم يعودون إلى بلادهم ليعلِّموا الآخرين. إنَّ خبر هذه الوفود مذكور بالتفصيل في تاريخنا. فكانوا يأتون إلى النبي ﷺ في المدينة من أجل هذا الغرض واستجابة لهذا الحكم، ويمكثون هناك لتعلُّم الدين، ويأتي وفد تلو وفد يتلوه وفد بشكلٍ مستمرٍ وفي هذا الاستمرار والانتظام أُودعتْ وسائل بقاء الدين. فمثلا يفيدنا التاريخ أن في وقت واحد جاء ١٤ ممثلا من البحرين وكذلك من حضرموت جاء ٨٠ ممثلا، كما جاء وفد بني تميم يضم ٧٠ أو ٨٠ ممثلا، وبقيت هذه الوفود في المدينة مدة يتعلمون القرآن وأمور الدين ثم خرجوا إلى قومهم، وعلَّموهم الدين.

لقد قدمت بعض الأمثلة فقط لكي تتضح هذه الحقيقة على فروع الجماعة، لأنهم حاليا لا يرسلون ولا ممثلا واحدا لحضور الدورات التي تقام

هنا، لكن الأمر لن يستقيم هكذا، بل لا بد أن يحضر هنا عدد لا بأس به من الإخوة، عندها يمكن أن نخدم الإسلام كما يجب.

باختصار سوف أقدم تفصيل ذلك عندما أنهي بياني حول هذه الأهداف بحسب الوعد. وعندما سأبدأ بياني حول هذه الوعود بوصفه أحدَ المسؤوليات التي تقع على عاتقي، لأن كل هذه المسؤوليات تقع على عاتق المسلمين ولا سيما علينا نحن الأحمديين في العصر الراهن.

الهدف الثالث عشر ورد في ﴿وَالْعَاكِفِيْنَ﴾ وأُخبرنا أن بواسطته سيُخلق قوم يقفون حياتهم في سبيل الله، وأن طائفة الواقفين هذه ستضم الممثلين من كل قوم ومن كل بلد. وهذا الهدف أيضا تحقَّق فقط بواسطة النبي ﷺ إذ لم يكن هناك قبله إمكان لتحققه، لأن الممثلين من الأقوام لم يكونوا يقدرون على المجيء إلى هناك، إذ لم يكونوا يعرفون مكة ولم يكونوا يكنّون الحب لها. لقد أخبرتكم أن النبي ﷺ قد حقق هذه الأهداف. يقول الله ﷻ ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وفيه أيضا إشارة إلى ذلك. ومعناه أننا نتوقع منكم أنكم ستعتكفون في المساجد، حيث تقضون أربعا وعشرين ساعة لعدد من الأيام من حياتكم منقطعين عن العلاقات المادية كلها لكي تُحيي روح الوقف. ولما كان النبي ﷺ قد قال "قد جُعلت لي الأرض مسجدا"، فسيكون معنى ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ أنكم لن تجدوا بدا من قضاء بعض الوقت من أجلي في كل بقاع الأرض كواقفي الحياة، وذلك لأني كما أخبرتكم من قبل أيضا إشارةً أن الكعبة أو بيت الله هو نقطة مركزية. وعُلِّمنا بجعل أظلالها أيضا، أي تقليدًا لها

ولنيل الأهداف نفسها، ولخلق الطهارة من نفس النوع ستضطرون لفتح المراكز في أماكن شتى والتي تكون ظلالا للكعبة، وسيكون الهدف من بنائها نفس الهدف الذي من أجله تم بناء الكعبة. فقد قال الله ﷻ هنا ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ففي كل مكان ستقيم فيه الأمة المسلمة ظلا للكعبة على أسس التقوى، ستضطرون للعكوف فيه كالواقف، وإلا لن يتحقق هذا الهدف. ولا أريد أن أخوض في تفصيل ذلك أكثر أيضا. لكنه خطر ببالي أنه إذا كان من أهداف بناء الكعبة أن يجتمع واقفو الأمم، أي الواقفون من كل قوم وقبيلة، في هذا المركز أو ذلك الظل، ويعتكفوا فيه، فهناك مماثَلة كبيرة بين الوقف والهجرة. حيث يفيد التاريخ أنه ليس من مكة فقط بل قد ترك ممثلوا بعض القبائل الأخرى من المناطق الأخرى أيضا منطقتهم وقبيلتهم وجاؤوا إلى المدينة واستقروا فيها. فلم تكن هجرتهم كالهجرة من مكة، بل كانت هجرة الواقف. الذي يترك إقليمه وأقاربه وبيته وعقاره من أجل الله ويأتي إلى المركز، ثم يعمل في شتى بلاد العالم بحسب توجيه المركز. فمثلا كان في اليمن قبيلة الأشعريين، وكان الصحابي الجليل المشهور أبو موسى الأشعري ﵁ منهم، حيث هاجر معه قرابة ٨٠ نفرا إلى المدينة. وكذلك نجد في التاريخ ذكر قبائل كثيرة هاجرت إلى المدينة للانتفاع من صحبة النبي ﷺ ومنهم أبو هريرة ﵁ أيضا.

الهدف الرابع عشر مذكور في ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وأُخبرنا أن بواسطته ستحرز أقوام العالم العرفان الكامل لذات الله ﷻ وصفاته. ونتيجة لذلك

سيُظهرون نماذج للطاعة والانقياد والإيثار والفداء والتضحية التي لن يتمكن أي دين في العالم من تقديم مثيل لها، والتي برؤيتها سيندهش العالم.

هذا الهدف أيضا تحقق بواسطة النبي الأكرم ﷺ إذ ببركة قوته القدسية ظل يظهر أناس في كل قرن يحققون هذا الهدف ليس في حياته فحسب بل بعد وفاته أيضا. ولا أريد أن أخوض في تفصيل ذلك أيضا. وإذا وفَّقني الله ﷻ فسوف أذكر تفصيله عندما سأنبه الإخوة إلى مسؤولياتهم، إن شاء الله.

الهدف الخامس عشر ورد في ﴿بلَدًا آمِنًا﴾ وكان الله قد وعد أنه سيحمي هذا البيت من هجمات غاشمة لأهل الدنيا، وأنه سيُفشل كل محاولة للقضاء عليه. بل سوف يهلك المهاجمون ويبادون. وفي ذلك إشارة إلى أننا حفظنا مكة لهدف خصوصي، وأخبرنا أننا سنحفظ مكة لنوضح للعالم أن النبي الأكرم (ﷺ) الذي نريد أن نبعثه من هذا المكان، سيكون في ملاذ لنا. ذلك لكي يعرف أهل الدنيا أن الشريعة التي نريد إنزالها هنا سنحفظها نحن أيضا.

فكون النبي ﷺ في عصمة الله، وكون الشريعة النازلة على ذلك النبي المعصوم في حماية الله الشاملة، كان قد وُعد بهذين الأمرين كليهما في الوعد بحماية الكعبة. فأعلن القرآن الكريم أن الوعد الذي قطع معكم، مصداقُه محمد رسول الله ﷺ، وقال ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة ٦٨)، وتبدأ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي انشر الهداية والتعليم والشريعة التي أنزلت عليك، بكل شجاعة دون أي خوف أو خطر. وبلِّغ ماء الحياة هذا إلى أرجاء المعمورة، ونخبرك أن أهل

الدنيا لن يرضَوا بهذا التبليغ ولن يعجبوا به، بل سوف يكيدون آلاف المكايد لقتلك والقضاء عليك وسيسعون لهلاكك والقضاء على تنظيمك. لكن لا تبال أي مبالاة بالدنيا ومكايدها ومؤامراتها. لأننا نعِدك أنا سوف نعصمك ونحفظك. فلتبذل الدنيا قصارى جهودها، وإذا أرادت أن تجمع قوى العالم كلها من أجل ذلك فلتفعل، فلن تقدر على هلاكك، والقضاء عليك. بل سوف تنزل ملائكتنا من السماء وتنجيك من الهلاك وتحفظك.

لقد بُدئت هذه الآية بالتركيز على التبليغ، ثم طمأننا الله ﷻ أنكم إذا بلَّغتم فسوف تثار الفتن ضدكم لكنكم لن تهلكوا. ومعلوم أن أهل الدنيا يؤذون أهل الله وعباده، لكنكم في ملاذ الله ﷻ، ووعَد الله ﷻ أنه لن تقدر على هلاككم والقضاء عليكم أي قوة. فلو لم تعط الأمة المحمدية هذا الوعد، لما استطاعت قط إنجاز الفريضة الواردة في ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأنهم كانوا سيفكرون أن العدو إذا أهلكهم فسوف تنسدّ طريق الدعوة نهائيا. لقد قال الله ﷻ صحيح أن بعضا منكم يمكن أن يُقتلوا وبعضكم يمكن أن يُهلكوا، وبعضكم يمكن أن يسجنوا ويمكن أن يفرض الحظر على دعوة بعضكم، ويمكن أن يفرض الحظر على كلام بعضكم، ويمكن أن يُمنع بعضكم من الكتابة، إلا أن الأمة المحمدية كأمة في حماية الله من هذا الابتلاء ومن هذه المصيبة، حيث لا يمكن أن تصيبها أيّة مصيبة تقضي عليها نهائيا.

إذا تدبرتم فستجدون أن النبي الكريم ﷺ لو لم يكن في حماية الله ﷻ لَقتَله مخبول ما، أي كان القضاء على الإسلام بحاجة لشخص واحد فقط،

ثم جاء وقت لو استعد فيه ٣٠٠٠ شخص للموت لأبادوا الإسلام في الظاهر، لكن الله ﷻ قال لن أهيِّء هذا العدد من الناس وهذه القوة لأعداء الإسلام، حتى يتمكنوا من توجيه الضربة القاتلة للإسلام. فقد جاؤوا في ميدان بدر بثلاثة أضعاف المسلمين تقريبا، واستُشهد بعض الصحابة أيضا، لكنهم لم يُتركوا ليُقضى عليهم. ثم إن الله ﷻ لم يسمح لقيصر وكسرى بالمحاولة للقضاء على الإسلام، ما لم يصبح الإسلام قويا متينا في مكة بلاد العرب. وعندما تقوّى الإسلام في العرب سُمح لقيصر وكسرى أن يبذلوا قصارى جهودهم ضد الإسلام، ففعلوا ضد الإسلام ما استطاعوا لمعارضته، إلا أنهم واجهوا الفشل والخيبة دوماً، وإن أكبر معجزة نراها، هي أن الأعداء لم يرزَقوا قدرة قط للقضاء على الأمة المسلمة. صحيح أن جزءا من الأمة قدموا التضحيات، حيث أراد الله ﷻ أن يأخذ من جزء منهم التضحية، وهم بفضله ﷻ تحمَّلوا جبال المصائب بوجوه باشَّة، وأنفس راضية إلا أن الأمة المسلمة كأمة بقيت في حفظ الله ﷻ دوما. الآن في عصرنا مثلا أحرزت قوى الدجال قدرة عجيبة لدرجة أنهم لو أرادوا لكان بإمكانهم قتل مسلمي العالم جميعا، لكن الله ﷻ كما أظهر معجزات أخرى سابقا، أظهر هذه المعجزة الآن حيث عين حرساً من الملائكة على العقل الإنساني، وقال لهم ليس هذا العصر للقضاء على الإسلام بالسيف، بل يجب المقاومة بالأدلة. فصحيح أنهم يملكون قوة، إلا أن الله ﷻ قد صرف اهتمامهم من أن يسعوا للقضاء على المسلمين بالقوة. فاليوم إذا أراد الدجال باستخدام القوة المادية قتل كل مسلم فهو

يقدر على ذلك، لكن الله ﷻ قال صحيح إني قد منحتُكم القوة لكنني لن آذن لكم باستعمالها ضد الإسلام والمسلمين.

فكما كان النبي ﷺ قد وُعد بحفظ خاص، فللسبب نفسه ونظرا للهدف نفسه قد وُعدت الأمة المسلمة أيضا بالحفظ الخاص أيضاً، وعمليا لم يسمح الله ﷻ للأعداء قط بأن يقضوا على الأمة المسلمة ويمحوها من العالم. فانظروا إلى أوضاعكم أنتم، كان رجل واحد في زمن يكفي لقتل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حيث لم تكن جماعةٌ حوله. ذات مرة كان معه ١٢ شخصا فقط. ففي السفر إلى دلهي حدثت فتنة وثورة حيث اقتحم المعارضون المكان وقاموا بهدم الجدار الخارجي أو كسْر الباب ووصلوا إلى فناء الدار وكانوا يكسرون الباب الداخلي إذ لا نعرف لماذا فجأةً هربوا من هناك فورا وعادوا، لماذا هربوا؟ جواب ذلك في هذه الآية التي تقول إن الذي يحفظه الله ﷻ أو القوم الذين يكونون في حماية الله ﷻ فلا يقدر أي مكر أو مكيدة في العالم، ولا أي قوة مادية على القضاء عليه. وهذا الوعد يقوّي القلوب ويشجع المؤمنين على تقديم التضحيات ويولد في نفوسهم الحماس لها.

وثانيا، كانت فيه إشارة إلى أن الشريعة التي ستعطى لذلك النبي هي الأخرى ستبقى محفوظة فقد قال الله ﷻ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠)، فقد حفظه ﷻ كما أراد. عندما لم تكن إمكانية لحفظ القرآن الكريم من خلال نشره بكثرة بعد كتابته على الورق، أعد الله ﷻ مئات الألوف من الأدمغة لحفظه ومكَّنهم من ذلك أيضا،

وكانت ذاكرة الألوف منهم قوية لدرجة لم يكونوا يخطئون حتى في الحركات، أما بشكل إجمالي وجماعي فكانوا يشكلون ذاكرة وحفظا بحيث إذا أخطأ أحدهم صححه صاحبه فورا. أي من حيث المجموع لم يكن احتمال وقوع الخطأ من حفاظ القرآن الكريم.

ثم إخبارا لنا بأن هؤلاء الحفاظ الكثيرين توفَّروا بمشيئة الله الخاصة، حين بدأ القرآن الكريم يُطبع على ورق قلَّ عدد الحفاظ، ومن هنا عرفنا أنه كان بتدبير إلهي، ولم يكن فيه أي دخل للإنسان. ومن حيث الحِفاظ على المعاني فقد خلق الله ﷻ في كل قرن أولياء وصلحاء في بدايته ووسطه وآخره أيضا من الذين كانوا حائزين على قرب الله ﷻ لدرجة كان يعلِّمهم الله ﷻ بنفسه، وكان هو سبحانه وتعالى معلِّمَهم، وكانوا يسدون حاجات وقتهم، ويحلُّون مسائلهم، ويحلون الأمور المعقدة في عصرهم.

ثم الآن أيضا حين أقام الله ﷻ جماعة قوية جدا عن طريق سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لنشر الإسلام في كل أنحاء العالم وغلبته، وفَّقنا بمحض فضله أن ننضم إلى جماعته، وهيأ لنا الفرصة المناسبة بحيث لو أردنا فيمكن أن ننال رضوانه بتقديم القرابين التي يريدها منا. نسأل الله ﷻ أن ينال كل واحد منا رضوانه.

باختصار قد حفِظ الله ﷻ القرآن الكريم نصًّا ومعنى، وقد حُفظ في أوضاع معينة بأسلوب لا يقدر أي عاقل على الإنكار بأن حفظ القرآن الكريم لم يكن نتاج أي تدبير إنساني. إنما هو نتيجة فضل الله فقط وحفظه الخاص الذي كان وعَده، وهو صادق الوعد وصادق القول فقد أنجز وعْده.

يجب أن نداوم على الدعاء أن يجعلنا من عباده الذين عُهد إليهم الحفظُ المعنوي للقرآن الكريم، أي ينالون علما صحيحا للقرآن الكريم، ولا يكونوا من الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الذين يستخدمون القرآن الكريم للفوز بمصالح مادية ومكاسب شخصية. بل يكونون من الذين يتلقون العلوم الحقيقية من ربهم، وأن نكون من أحبّاء الله الذين يُنزل الله عليهم فضله، وبواسطتهم يزيح الستائر عن وجه العلوم الضرورية لهذا الكتاب المكنون. ولا يجعلنا من الذين يكون القرآن الكريم على ألسنتهم وتخلو قلوبهم من نوره.

(نقلا من جريدة الفضل اليومية، الصادرة في ربوة، عدد ١٩٦٧/٦/٤)

لا تضيع أعمال الذين
يضحّون ابتغاء مرضاة اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله
في المسجد المبارك، بربوة
بتاريخ ١٩٦٧/٠٦/٠٢

"بعد رؤية فيوض بيت الله وبركاته سيتوصل العالم إلى أن الذين يقدمون تضحيات عظيمة ابتغاء مرضاة الله ﷻ، ويكونون له وحده مُعرضين عن الدنيا لا تضيع أعمالهم، بل ينالون جزاء أوفى، وثمارا حلوة لتلك الأعمال المقبولة، وتظهر أروع النتائج لأعمالهم الصادرة بتواضع وحب."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد ورد **الهدف السادس عشر** لبناء الكعبة في آية: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وأُخبرنا أنه بعد رؤية فيوض بيت الله وبركاته سيتوصل العالم إلى أن الذين يقدمون تضحيات جسيمة ابتغاء مرضاة الله ﷻ، ويكونون له وحده مُعرضين عن الدنيا لا تضيع أعمالهم، بل ينالون جزاء أوفى، وثمارا حلوة لتلك الأعمال المقبولة، وتظهر أروع النتائج لأعمالهم الصادرة بتواضع وحب.

لقد أعلن القرآن الكريم بنفسه أن هذا الهدف أيضا تحقق في شخص النبي ﷺ وبواسطة الشريعة القرآنية. كما قد قال الله ﷻ في سورة القصص: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ٥٨) يقول الله تعالى أن المخاطَبين في القرآن الكريم يقولون حين تُعرَض عليهم شريعة القرآن الكريم وهدايته وتعليمه: إذا اتبعنا الهدى الذي جئت به فسوف نُتخطَّف من بلدنا، وسوف تعادينا الدنيا وتعارضنا، وتعقد العزم على معاداتنا والقضاء علينا والإجهاز علينا، ولا نقدر على مقاومتهم. فلماذا نهيء الوسائل لهلاكنا بالإيمان بهذه الهداية؟ يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ ألا يعرفون أننا ربطنا علاقة هذا

النبي وهذه الشريعة بالحرم؟ وكنا جعلنا بيت الله علامة خاصة، لكون هذا النبي وأتباعه في حفظ الله ﷻ، وأن مسؤولية حفظ الشريعة النازلة عليه أيضا ستقع على الله وحده.

إن تاريخ العالم شاهد على أن الوعد الذي كان الله قد قطعه بحفظ الكعبة، قد أنجزه، حيث ظل المهاجمون دوما يُمنَون بهزيمة نكراء، ويخفقون، كما يشهد العالم وسيشهد على الدوام أن أي قوة مادية أو أي مكيدة لأهل الدنيا وأي مؤامرة من مؤامرتهم، لا تقدر أبدا على القضاء على النبي ﷺ وإفشال مهمته كما لا يمكن لأي دجل أن يتسرب إلى القرآن الكريم.

لقد قال الله ﷻ هنا ألا يرون أنَّا آويناهم في بيت آمن ومحفوظ، في حرم الكعبة وفي حرم عصمة النبي ﷺ أيضا وحرم الشريعة الإسلامية القرآن الكريم أيضا. كل هذه الأشياء محفوظة وكل هذه الشخصيات وكذلك الأماكن محفوظة، إذا أنشأتم العلاقة بهذا الحرم فستكونون في حماية الله كما كان الحرمُ في حمايته ، وسيكون من الخطأ القول، ﴿نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ بل لن تقدر أي قوة مادية على هلاككم.

ثم قال الله ﷻ هنا: ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي قد قدرنا لهذا الحرم أن تُجلب إليه كل أنواع الفواكه، أي بإنشاء العلاقة به يصبح إحراز كل نوع من الأعمال الصالحة ممكنا، ويوفَّق المرء لذلك أيضا من الله. ووُعدنا بظهور النتائج الرائعة لذلك أيضا، فكل من كان صادق النية ولا يكون فيه أي نوع من الفساد، ينال هذه الثمرات. فهنا ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (القصص ٥٨) مع الحرم باعتبار الحرم دليلا

على خطأ موقفهم ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ (القصص ٥٨) قد وضح الله ﷻ أن ما ذُكر في دعاء إبراهيم عليه السلام من الثمرات والجزاء كانت له علاقة بوجه حقيقي بالنبي الكريم ﷺ والأمة المحمدية، وستبقى.

قد ورد تفسير ﴿مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ هذه في سورة محمد حيث قال الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: ١٦)

لقد قال الله ﷻ هنا إن المتقين الذين يعملون بهذا الهدى، الذي ورد بحقه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (في مستهل سورة البقرة) إيمانهم القوي ومعتقداتهم الصحيحة تُخلق في صورة أشجار مجازا في هذه الدنيا، وتتخذ تلك الأعمال في الآخرة شكل أشجار بوجه حقيقي. فقد قال الله ﷻ هنا إن الذين يصبحون متقين حقيقيين بالعمل بهدايتنا يُعطَون جنة، قد نبتت فيها كل أنواع الأشجار، و﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾. هم يوفَّقون لأعمال صالحة، وتوهب لهم بشاشة القلب، بحيث بعد تذوُّقهم طعم تلك الأعمال والاستمتاع بها لا يستعدون للتخلي عن تلك الأعمال ولا بأي شكل من الأشكال ولا بأي قيمة. فقال ﷻ إن تلك الأعمال ستحوَّل- في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضا- إلى أنهار فيها ماء غير آسن، أي بعد تذوُّق الأعمال الصالحة مرة لن يتخلوا عنها. ثم عندما سيبدأون إحراز الأعمال الصالحة بمعنى حقيقي بصدق القلب نتيجة الإيمان القوي بحسب

الهدايات النازلة عليهم من الله، فسوف تُفتح عليهم سبل الترقيات الروحانية أكثر. فالأمور التي كانت في السابق بمنزلة الأسرار، والسر الروحاني، سوف ينكشف عليهم ويستبين. ونتيجة لذلك سيزداد المؤمن روحانيةً، وهذه الكيفية ستتخذ شكل لبن لا يُخشى عليه التخثُّر، كما ورد ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ ... طَعْمُهُ﴾. ونتيجة لتلك العلوم الروحانية سينشأ لديهم العشق الحقيقي لله الذي يذيب الذنوب. حيث سوف يوردون على أنفسهم موتا، ويتفانون في حب الله وينتشون دوما بعشق الله. وهذه الكيفيات تحوَّل إلى صورة ﴿أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾. هنا أفاد أيضا أن الذي لم يجرب هذا فهو لا يدرك هذه اللذة. ولذلك لا يتوجه أمثال هؤلاء إلى العشق الإلهي، وذلك لأن أشواك كثير من الابتلاءات أيضا قد زُرعت حول هذا النهر. أما الذي يتذوقه مرة ونال حب الله ﷻ فهو وحده يقدر على القول إن اللذة التي تكمن في عشق الله ليست في أي شيء آخر. ثم قال: إن الذي تفانى في حب الله والذي قُدرت له ﴿أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ينال الشفاء من الأمراض، فلا يقدر أي مرض على مهاجمته، حيث ينال الشفاء الكامل، ويكون في مأمن من جميع هجمات الشيطان، كأنه صار في حضن الله ﷻ ولا يُخشى عليه من أي خطر. وهذه الكيفية تتحقق في هذه الدنيا في صورة ﴿أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بوجه، وتنشأ في الآخرة أيضا بوجه آخر.

ثم قال الله ﷻ: ﴿لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أن هذه الثمرات ستجدونها بالإسلام، أي ستعطَون كل أنواع الثمار، وسيكون هناك كل

نوع من الأشجار. فالعقائد الصحيحة سوف تتخذ شكل الأشجار، ثم توهبون إيمانا بحيث تنجزون الأعمال بكل شوق وانبساط بتحمل كل نوع من المشاكل والمشاق، وتلك الأعمال سوف تجرى في صورة الأنهار من الماء، التي ستنمو بها تلك الحدائق، إذ بدون الماء لا يمكن أن تنمو الحديقة، وبدون الأعمال الصالحة لا يثبت الإنسان على المعتقدات الصحيحة، حين لا يبقى عمل صالح يضطر المرء لتغيير معتقده أيضا، وإلى ذلك أشير في ﴿وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾. لذا لا نستطيع القول إن الشريعة القرآنية يمكن أن يتطرق إليها الفساد، لأن من المستحيل أن يحدث الفساد في القرآن الكريم، أما الذي يعمل بموجب هذا المعتقد فهو إنسان. فقال سيوفقه الله لأعمال صالحة، حيث ورد "غَيْرِ آسِنٍ"، أي لن يكون بعد ذلك في خطر أن يغويه الشيطان إلى اتجاه آخر.

ثم بعد ذلك ستُكشف عليه العلوم الروحانية والأسرار، وتتخذ صورة اللبن. وبانكشاف الأسرار الروحانية سينشأ في قلبه حبٌّ بلا حدود لربه ﷻ، وهذا الحب الإلهي سيأخذ شكل ﴿أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾. ونتيجة لذلك سيُحفظ من كل أنواع الأمراض الروحانية، أي ستتوفر له ﴿أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾. فهذه هي الثمار التي يعطيها الإسلام، وهذه هي الفواكه التي ذُكرت في هذه الآية، أن إبراهيم عليه السلام كان قد طلبها في دعائه: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقول الله تعالى: إن هذه الثمار لم تكن لتتوفر لكم نتيجة أعمالكم فقط، ما لم تنالوا المغفرة من الله. وإنما وُعدتم بهذه المغفرة

أيضا في الإسلام فقط. لقد تدبرت وإذا تدبرتم فسوف تتوصلون أنتم أيضا إلى أنَّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد بيَّن مفهوم هذه الآية، رغم أنه لم يُشر إليها في المقتبس التالي الذي أقرأه عليكم وهو من كتابه عليه السلام مرآة كمالات الإسلام، حيث يقول حضرته عليه السلام:

"والآن أريد أن أذكر بإيجاز ثمراتِ الإسلام، فليتضح أنه إذا تمسك الباحث الصادق عن الله بالإسلام على وجه كامل، ليس تكلُّفا ولا تصنُّعا بل خاض في سبل الله بصورة طبيعية بكل ما أُعطي من القوة، فالنتيجة النهائية لهذه الحالة هي أن تجليات هدى الله العليا تتوجّه إليه خارقة كل الحجب وتنزِّل عليه أنواع البركات. والأوامر والعقائد التي قبِلها الإنسان من قبل كإيمان وعلى سبيل السماع فقط تُكشف عليه في هذه المرحلة كالمشهود والمحسوس بواسطة الكشوف الصحيحة والإلهامات اليقينية القاطعة. وتُظهَر عليه مغلقات الشرع والدين وأسرارُ الملة الحنيفة الكامنةُ، ويُكرَم بالتنزه في ملكوت الله ليحظى بمرتبة اليقين والمعرفة الكاملة. توضع البركة في لسانه وبيانه وكافة أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، ويوهب شجاعة واستقامة وقوة خارقة للعادة. ويُعطَى مكانة عليا من انشراح الصدر، ويُبعَد كليا عن ضيق الأفق الناتج عن حجب البشرية، والخسة والبخل والعثار المتكرر وعبودية الشهوات ورداءة الأخلاق وظلمة النفس بكل أنواعها، ويُوهَب مكانها الأخلاق الربانية الفاضلة. عندها يتغير تماما ويلبس لباس الخلق الجديد. ويسمع بالله ويرى بالله، ويتحرك مع الله ويسكن مع الله. يصبح غضبه غضب الله ورحمه رحم الله. ففي هذه

الدرجة تُجاب أدعيته اصطفاءً وليس ابتلاء. يكون هذا الشخص حجة الله على الأرض وأمانه عز وجل. وفي السماء يُحتفَل بوجوده. والعطية العليا التي يُعطاها هي مكالمات الله ومخاطباته التي تنزل على قلبه باستمرار- دون أدنى شك وريب وغبار- ساطعةً مثل القمر، مصحوبة بالمتعة قوية التأثير، فتُطَمئنه وتهبه الهدوء والسكينة." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، ج٥ ص ٢٢٦-٢٣١)

هذه هي الثمرات التي وُعد بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذه هي الثمرات التي وهبت بكثرة لأمة محمد ﷺ بحيث تندهش العين التي تراها.

الهدف السابع عشر قد ورد في ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ وأُخبرنا أن الأعمال لا شيء، ما لم تُقبل، لذا يمكن الفوز بالرفعة الروحانية بالدعاء فقط. وكان في ذلك إشارة إلى أن النبي العظيم سيبعث هنا، وببركة فيوضه الروحانية ستنشأ أمة تُدرك الحقيقة، أن التضحيات العظيمة جدا لا تجدي نفعا ولا تؤدي إلى نتيجة، ما لا يجذب المرء فضل الله سبحانه وتعالى بالأدعية بتواضع. فبالدعاء حصرا ستنال تلك الأمة الدرجة العالية في المعرفة، وبواسطة الدعاء فقط سوف تجني أروع ثمار أعمالِها.

لقد ذكر القرآن الكريم كل هذه الأهداف الثلاثة بكل وضوح، وأرى أن الضوء الذي سلطه الإسلام على الدعاء وقبوله، لم يسلط مثله أيُّ دين آخر، فلا يقدر أي دين آخر أن يكون منافسا له في هذا المجال. لقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده في نهاية سورة الفرقان، أن عباد الرحمن يعملون كذا من الأعمال ويمتنعون عن كذا من الأعمال. الرحمن هو ذلك القدوس الذي

يحسن إلى إنسان دون أي عملٍ له، ويمنّ عليه بدون أي استحقاق منه. بعد ذلك ذُكرت جميع أعمال عباد الرحمن التي في الظاهر تتعلق بالرحيمية.

فالموضوع هنا هو أنه مهما أنجزتم من الأعمال الحسنة الكثيرة، لن تجدوا أي جزاء لها ما لم يصبكم فيض الرحمانية مع الرحيمية. ولذا حين أنهى هذا الموضوع أعلن بكلمات الجلال والشوكة: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان: ٧٨).

أي صحيح أن إحراز الأعمال الصالحة أيضا ضروري، وأن اجتناب الأعمال السيئة أيضا ينفع الإنسان، لكن تذكَّروا أن الله ﷻ لا يعبأ بكم ولا بحسناتكم، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾. أما إذا كنتم تبالون به فاجذبوا فضله بدعائكم. وعندما تجذبون فضله بأدعيتكم ستفيدكم أعمالكم هذه. ثم إن الدعاء لا معنى له ما لم يحرز المرء قبوله. ولقبول الدعاء أيضا فضل من الله حصرا مطلوب، وهو الآخر يتطلب الدعاء. لذا يجب الدوام على الدعاء أنْ: ربنا سواء أنجزنا شيئا أم لم ننجز، فإن الأدعية التي نرفعها إليك لقبول أعمالنا الصالحة، هي الأخرى لا ترتقي إليك إلا حينما تقرر أنت قبول دعواتنا فتقبّلْ منا. فقبول الدعاء أيضا يتطلب مزيدا من الدعاء. فقد قال الله ﷻ هنا إن الله لا يعبأ بكم مطلقا، ولا بأعمالكم، ولا بقرابينكم، فهو غني عن الصدقات والتبرعات التي تقدمونها في سبيله. فهل خزائنه نفدت حتى يبالي بمالكم؟ إنكم تستجيبون لأوامره وتجاهدون عظيم المجاهدة، وتسعون في سبيله ومع ذلك لا يعبأ بكم. فكل هذه الأمور لا تفيدكم إلا إذا جذبتم فضله بالدعاء. أي حين يقترن تجلي الرحمانية بتجلي الرحيمية،

عندها يمكن أن ترفعكم مساعيكم الحقيرة إلى السماء السابعة. أما إذا حسبتم أن بإمكانكم الوصول حتى إلى السماء الأولى بدون فضله، فأنتم مخطئون، إذ بدون فضله يمكن أن تتردَّوا إلى تحت الثرى ويمكن أن تقعوا في حضن الشيطان. أما حضن الرحمن فلا يفوز به أحد إلا بفضله ورحمته ﷻ حصرا. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي قد كذبتم هذه الحقيقة، بعضكم في الظاهر متقون وورعون، لكنهم يفتخرون بأعمالهم ودعواتهم وقيامهم ليلا، وخدمتهم للناس ويزدهون بذلك. لكن الله لا يعبأ بهم ما لم يدْعوا الله بكل شروط الدعاء، وما لم يتقبل الله أعمالهم متقبِّلا دعواتهم لرحمانيته الجياشة.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي ستلازمكم النتائج الوخيمة لتكذيبكم، فانظروا الآن كيف يوجد في بعض فِرق المسلمين من يقومون بمجاهدات شاقة، لكن هل تظهر نتيجةُ مجاهداتهم لصالحهم؟ وحسبما نظن ونعتقد لا تظهر منها النتيجة التي تظهر من الأعمال المماثلة للمتقي، بل تظهر من جزء من الألف منها. يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"إن تصوُّر هذين الأمرين هو الأهم للدعاء في الحقيقة. أي يجب أن يتصور المرء في قلبه أولا أن الله تعالى قادر على كل نوع من الربوبية والتربية والرحمة والانتقام، وأن صفاته هذه تعمل عملها دائما وباستمرار.

ثانيا: يجب أن يتصور المرء أيضا، أنه لا يستطيع أن ينال شيئا دون توفيق من الله وتأييده. ولا شك أنه لو ترسّخت هاتان الفكرتان في القلب عند الدعاء لغيّرتا حالة الإنسان دفعة واحدة، بحيث يخرّ المستكبر أيضا على الأرض متأثرا بهما، وتسيل الدموع من عينَي سفاكٍ قاسي القلب.

هذه هي الأداة التي تنفث الروح في غافل ميّت. وبتصور هذين الأمرين ينجذب كل قلب إلى الدعاء. فهذه هي الوسيلة الروحانية التي بسببها تتوجه روح الإنسان إلى الله تعالى، ويتنبه المرء إلى ضعفه وضرورة عون الله. وبسببها يصل الإنسان إلى عالَم النشوة ولا يبقى لأنانيته أدنى أثر، فلا يرى إلا جلال الذات الأعظم متلألئا. ولا يُرى له إلا ذلك الإله الذي هو الرحمة الكاملة، وعماد كل وجود، وعلاج كل ألم، ومبدأ كل فيض. وفي نهاية المطاف تظهر للعيان منها حالة الفناء في الله فلا يميل الإنسان إلى المخلوق ولا إلى نفسه، ولا إلى مشيئته الشخصية، بل يفنى في حب الله تماما. وبظهور ذلك الوجود الحقيقي لله ﷻ يبدو له وجوده ووجود الأشياء الأخرى كالمعدوم." (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية ج١ ص ٥٧٢-٦٧٤ الحاشية رقم ١١)

الهدف الثامن عشر هو أن العالم سيتعرَّف إلى الإله السميع نتيجة بناء الكعبة، أي ستُخلق هنا أمةٌ، تُعرِّف العالم بالإله السميع. ولا يستطيع العالم إنكار حقيقة أن المنشغلين في الدعاء بالتضرع والابتهال وحدهم يرون تجليات صفة الله السميع. يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦١) أي يقول ربكم ادعوني أتقبلْ دعاءكم، أما الذين يُعرضون عن عبادتي الحقيقية مستكبرين، أي العبادة التي أتقبلها والتي قد قلت عنها في آية أخرى من القرآن أنه يجب أن تكون عباداتكم مقرونة بأدعيتكم، والذين لا يرفعون عبادتهم إلى مقام العبودية، فسوف أجزيهم جهنم عقابا، وأنهم

سيدخلون جحيم الفشل ويحل بهم غضبي وغيظي. ومثل ذلك قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي أيها الرسول، إذا سألك عبادى عني أي ما هو الدليل على وجود الله، وكيف نحرز علم صفاته، فقل لهم إن الله قريب منكم، فاطرقوا بابه فسوف يُفتح لكم، وادعوه (بحسب الشروط التي علَّمَناها) فسوف تُتقبَّل دعواتكم، ونتيجة لقبول الدعاء ستحرزون علم ذات الله وصفاته ﷻ وبعد هذه المعرفة والعرفان ستغرق قلوبكم في حبه.

فقد قال الله ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أي عليهم أن يؤمنوا بي وبصفاتي، لكي يهتدوا، لقد قال المسيح الموعود عليه السلام عن ذلك في "بركات الدعاء": "إن ماهية الدعاء هي أن هناك علاقة تجاذبٍ بين العبد وربه، بمعنى أن رحمانية الله تعالى تجذب العبد إليها أولا ثم يتقرّب الله تعالى إلى العبد نتيجة جذب صادق من العبد. وفي حالة الدعاء تبلغ تلك العلاقة مبلغا خاصا وتُظهر خواصها العجيبة. فحينما يخضع العبد إلى الله تعالى باليقين الكامل والأمل الكامل والحب الكامل والوفاء الكامل والعزيمة الكاملة، بعد ما كان في مواجهة مصيبة شديدة، ويتيقّظ إلى أقصى الحدود ويتقدم في ميادين الفناء ممزّقا حجب الغفلة، فإذ به أمام عتبات الله الذي لا شريك له. عندها تضع روحه رأسها على عتباته ﷻ وقوةُ الجذب المودَعة فيه تجذب إليه أفضال الله تعالى. عندها يتوجه الله تعالى إلى إتمام ذلك الأمر، ويلقي بتأثير الدعاء على تلك الأسباب التي تؤدي إلى خلق

أسباب ضرورية أخرى لنيل ذلك المطلوب." (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية ج٦ ص ٩-١٠)

لقد ذُكر **الهدف التاسع عشر** أن العالم لن يرى بواسطة هذه الأمة تجلياتِ صفة الله السميع فحسب، بل سيرى تجليات صفة الله العليم أيضا. فردُّ بعض الأدعية وعدمُ قبولها حرفيا وبنفس الصيغة التي صدرت لا يُثبت أن إلهنا عز وجل ليس سميعا، أو ليس مالكا لجميع القدرات والقوى، بل سوف يثبت أنه كما كان ذلك القادر المتين سميعا، ففي الوقت نفسه هو عليم أيضا، وأن لقبول الدعاء علاقة عميقة بصفته العليم. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"والجدير بالذكر أيضا أن التضرع وحده لا يكفي في الدعاء، بل لا بد من التقوى والطهارة وصدق المقال واليقين الكامل والحب الكامل والتركيز الكامل. وكذلك ألا يتنافى مع حكمة الله ما يدعوه الإنسان لنفسه أو الذي يُدعَى له من حيث الدين والدنيا. فقد تجتمع في معظم الأحيان في الدعاء الشروط الأخرى كلها، ولكن المطلوب يكون منافيا لمصلحة الطالب عند الله بحسب حكمته تعالى، ولا خير في تحقيق مطلبه." (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية ج٦ ص ١٣)

الشروط التي ذكرها المسيح الموعود عليه السلام هنا لقبول الدعاء أي التقوى والطهارة واليقين الكامل والحب الكامل وغيره، فهي عن القبول للدعاء الذي يكون اصطفاءً. أما القبول للدعاء الذي يكون ابتلاءً فلا علاقة له بهذه الشروط. ولقد ناقش المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع

بالتفصيل. وقال إن الله يُري المومسات أيضا الرؤى الصادقة، لكي يخلق الوسائل لهدايتهن، ولكي يخلق في قلوبهن فكرة الخروج من هذه القذارة، ولكي يهربن إلى ينبوع الطهارة ومصدرها، ويسعين لتطهيرهن. أما إذا كان قلب الداعي غير منوَّر بنور التقوى، أو كان صدره خاليا من عطر الطهارة، أو لم يكن لسانه قد اتخذ طريق الصدق، ولم يكن قلبه فياضا باليقين الكامل والحب الكامل، ولم يكن ذهنه منيبا إلى ربه بكامل التركيز، أو كان ما يطلبه غير جالب الخير في نظر علام الغيوب للذي طُلب له، ففي كل هذه الحالات يُردّ الدعاء. لكن الله ﷻ في نهاية المطاف يعطي الإنسان جزاء الدعاء من هذا القبيل في شكل آخر. كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"أفليس ذلك إثباتا مقنعا بأن لله في الطبيعة منذ القدم قانونا روحانيا هو أنه بالدعاء يفور الْتفاتُ حضرة الأحدية، وتنزل السكينة والطمأنينة والسعادة الحقة. فإذا لم نكن على خطأ في طلب تحقيق هدف معين فهو يتحقق، وإذا لم نكن مخطئين في الدعاء، على شاكلة ذلك الصبي الذي يطلب من أمه ثعبانا أو جمرة من النار، فإن الله يرزقنا ما هو خير لنا، ومع ذلك في كلتا الحالتين يزيدنا إيمانا، لأنا بالدعاء نتلقى العلم من الله قبل الوقت، ويزيد يقينُنا لدرجةٍ كأننا رأينا الله ربنا. وإن بين الدعاء والاستجابة علاقة قوية تلاحَظ منذ القدم ومنذ خلْق الإنسان. فإن لم تتوجه إرادة الله إلى تحقيق أمر معين، فمِن سنة الله ﷻ أن أحد عباده المخلصين ينشغل في الدعاء باضطراب واضطرار وقلق ويبذل كل همّة واهتمام لتحقّق ذلك

الأمر، فتجذب أدعيةُ ذلك الرجل المتفاني الفيوضَ الإلهية من السماء فيخلق الله ﷻ أسبابًا جديدة لتحقيق ذلك." (أيام الصلح، الخزائن الروحانية ج١٤ ص٢٣٨-٢٣٩)

وقد أخبرَنا الله ﷻ في القرآن الكريم ثلاثة أمور أساسية عن الدعاء:

أولا: لا نستطيع أن نفرح بأعمالنا ما لم نجذب فضل الله ﷻ بالدعاء المقبول، إذ لا يسعنا القول هل سيتقبلها أم لا، إذ قد قال الله ﷻ لنا بكلمات واضحة وهيابة، ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي ما يعبأ بكم ربي وبحسناتكم وبأعمالكم، إن لم تنيبوا إليه بالدعاء.

أما نحن فنعبأ به، (ونحتاج إليه) وإذا كنا نريد أن نتمتع بتجليات حبه ولطفه على الدوام، فيجب أن نجذب فضله ﷻ بالأدعية بكل شروطها. وإن لم نفعل ذلك فإن قيمة أعمالنا لا تساوي قيمة رِجل نملة في نظر أهل الدنيا.

وثانيا: قد أخبرَنا الله ﷻ أن الإسلام أعطانا تعليما إذا وضعناه في عين الاعتبار ونصب أعيننا، وعملنا بحسب توجيهات الإسلام، فيمكننا أن نرجو أن يسمع إلهنا السميع أدعيتنا، ويتقبلها، ويخلق لنا وسائل رحمته.

الأمر الثالث الذي بيَّنه الله لنا هو أنه لا شك أن الله سميع لكنه عليم أيضا، فالإنسان يمكن أن يخدع العالم ويمكن أن يرتدي في الظاهر زي الورع، ويمكن أن يعلن بتقواه بألف تكلف، لكن لا يسعه خداعُ ربه. إنما المقبول عند الله، ومستجاب الدعاء مَن لم يكن في قلبه أي نوع من الفساد والخبث والنجاسة، ولم يكن فيه الكبر والتبجح والإعجاب بالنفس والرياء، والاعتداد

بالنفس واحتقار العالم بل تكون جميع تقصيراته وعيوبه وذنوبه، قد صارت رمادًا بعشق الله الحقيقي المذيب للذنوب. وكان منيبا إلى الله بقلب طاهر وصدر مطهَّر وعين دامعة، عندها يُتقبل دعاؤه.

لكن إلهنا والعياذ بالله ﷻ ليس جاهلا، فلا يخفى عليه شيء، فهو كما قال القرآن الكريم عليم بما في الصدور، وهو كما ورد في القرآن الكريم بمنتهى الوضوح ﴿أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾، ومن لم يتق. وهو أعلم مَن عدوُّنا ومن صديقُنا، وهو أعلم في أي شيء خيرٌ لنا، وأي شيء ضر لنا، فهو يجيب أدعيتنا بصفته عليما. فهو ليس كالأم الغبية والعياذ بالله التي إذا طلب الطفل منها جذوة من النار فهي تقدم له أحيانا بسبب العصبية، ومن ثم تحرق يد الطفل. كلا بل هو أكثر حبا من الأم، وهو أكثر حبا من الأب أيضا. فهو حين يتقبل الدعوات فإنما يتقبل فقط تلك الدعوات التي تنفعنا وبأسلوب ينفعنا.

لكنه حين يكون ما طُلب في الدعاء غير نافع لنا فهو يردّه، وبدلا من ذلك بمحض فضله ورحمه يُظهر رحمته في صورة أخرى وفي أسلوب آخر. فهو ودُود وربٌّ محب جدا. يجب علينا أن نعيش عبادا شاكرين له، ونحافظ على الوحدة والاتفاق في الجماعة دوما، ولا نتجاهل أبدًا الحقيقة أن كل أنواع الصلاح والتقوى والولاية كلها تحت أقدام الخلافة الراشدة. فالذي يخرج عنها ويظن نفسه شيئا يذكر إذا قُبلت دعواته فهي لا تكون اصطفاءً وإنما ابتلاءً واختبارا، لذا يجب أن نخاف ربَّنا دوما.

(نقلا عن جريدة الفضل اليومية، الصادرة في ربوة، عدد ١٩٦٧/٦/١١)

إقامة الأمة المسلمة
بواسطة النبي الأكرم ﷺ

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك، بربوة

بتاريخ ١٩٦٧/٠٦/٠٩

"كان قد صدر الوعد بأن الأرواح السعيدة من أقوام العالم ستصبح أمة مسلمة في الحقيقة نتيجة القوة القدسية والتأثيرات الروحانية للهادي الموعود ﷺ للعالم. وأنه ستُغسل جميع أدران العرب الذين كانوا أول مخاطَبي حضرته ﷺ، وسوف يجتمعون بعد التطهُّر والتزكّي على أعتاب خالقهم الحقيقي ومالكهم الحقيقي مستظلين بظل شفاعة النبي ﷺ. ثم يهدون العالم، ويقيمون أسوة الرسول ﷺ في العالم كله.

فبحسب أدعية إبراهيم والنبوءات الواردة في الصحف السابقة قد أقام الله ﷻ أمة مسلمة بواسطة النبي الكريم ﷺ."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩-١٣٠).

لقد أخبرتكم في السابق عن ١٩ هدفا من بناء الكعبة. **والهدف العشرون** ورد في قوله تعالى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. كان قد صدر الوعد بأن الأرواح السعيدة من أقوام العالم ستصبح أمة مسلمة في الحقيقة نتيجة القوة القدسية والتأثيرات الروحانية للهادي الموعود ﷺ للعالم. وأنه ستُغسل جميع أدران العرب الذين كانوا أول مخاطَبي النبي ﷺ، وسوف يجتمعون بعد التطهُّر والتزكّي على أعتاب خالقهم الحقيقي ومالكهم الحقيقي مستظلين بظل شفاعة النبي ﷺ. ثم يهدون العالم، ويقيمون أسوة الرسول ﷺ في العالم كله.

فبحسب أدعية إبراهيم والنبوءات الواردة في الصحف السابقة قد أقام الله ﷻ أمة مسلمة بواسطة النبي الكريم ﷺ.

كما قال الله ﷻ في سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ

سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٩)

لقد قال الله ﷻ هنا: جاهِدوا في سبيل الله بكل قواكم وقدراتكم وكفاءاتكم، وأوصِلوا السعي والجهاد إلى كماله. ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أدُّوا حقه كاملا، لأنه اجتباكم وأكرمكم وأعطاكم دينا كاملا، وأنزل لكم أروع الأحكام، ووَهب لكم معًا القوى والقدرات التي تقتضيها الاستجابة لهذه الأوامر. لذا لا يقع عليكم أي وزر نتيجة العمل بهذه الأحكام. يا ملة جدِّكم إبراهيم قد سماكم الله المسلمين، وأمةً مسلمة. وقد ورد هذا الاسم بحقكم في الكتب السابقة، وخاطبكم القرآن أيضا بالمسلمين وأمة مسلمة. وهذا الاسم نتيجة الأدعية التي رفعها إبراهيم عليه السلام لإقامة "أمة مسلمة" في العالم، (ببعثة أفضل الرسل ذلك). وأن تكون ذريتهم أيضا أمة مسلمة. يدَّعي القرآن الكريم في هذه الآية من سورة الحج بأن دعاء ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ من الآيات التي لها علاقة بأهداف بناء الكعبة قد أجيب، وأنه قد آن أوان تحقق النبوءات الواردة في الصحف السابقة، وقد بُعث النبي ﷺ وأقيمت به أمة مسلمة. وقد أقيمت لأنه قد آن أوان إظهار القوى والكفاءات الروحانية والأخلاقية التي أودعها الله في الإنسان. سيرى العالم الآن كيف يبذل الإنسان قدراته في سبيل ربه، وكيف يوصل كفاءاته إلى الكمال.

الإسلام يعني أن يضع المرء رقبته فداءً لله ربِّه، وأن يستعد كل حين وآن للرضا برضوان الله ﷻ متخليا عن كل إراداته وأمنياته، وألا يُبقي

لنفسه شيئا ويسلِّم كل شيء لله ﷻ ثم ينال من الله حياة جديدة، ويقضي حياته في صورة ﴿خَيرُ أُمّة﴾. وعن هذا الموضوع يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"أما معنى الإسلام في المصطلح فهو ما أشير إليه في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أيْ المسلم هو الذي يسلّم نفسه كلية في سبيل الله أي ينذر نفسه لله واتباع إرادته ولنيل مرضاته ثم يثبت على الأعمال الصالحة لوجه الله، ويسخّر كافة قواه العملية في هذا السبيل. أي يصبح لله تعالى وحده اعتقادا وعملا.

والمراد من "اعتقادا" هو أن يعتبر وجوده كله شيئا خُلق لمعرفة الله وطاعته وحبّه ولنيل مرضاته في الحقيقة. وأما "عملا" فبمعنى أن يكسب الحسناتِ الحقيقية المتعلقة بكل قوة خالصةً لله، والمرتبطة بكل قدرة موهوبة من الله بذوق وشوق وتركيز وكأنه يرى وجه معبوده الحقيقي في مرآة طاعته." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص٥٨)

الهدف الحادي والعشرون ورد في ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، وأُخبرنا أنه ستنزل على ذلك النبي الموعود شريعةٌ، تؤدي جميع المقتضيات الحقيقية للفطرة الإنسانية، بحيث تستفيض منها كل كفاءة، وتنال كل فطرة صحيحة نصيبا منها بحسب سعتها. وسيتوفر فيها على الدوام تعليمٌ يناسب أوضاعَ كل زمن وكلِّ قوم وكفاءةَ كل فرد.

المناسك، وهو جمع المنسَك والمنسِك، ويعني الزهد والعبادة، والأعمال التي تنجَز ابتغاء قرب الله ﷻ.

هنا لم يقل الله ﷻ أرنا المناسك، أي علِّمنا الطريق الكامل للعبادة، بل قال: ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي علِّمنا للعبادة طريقا كاملا يناسبنا. والجدير بالتذكر أن الشريعة القرآنية وحدها تتسع لهذا، أما الشرائع السابقة فلم يكن فيها مجال وسعة لذلك. فلما خلقت أمة مسلمة، ونزلت عليهم شريعة القرآن الكريم، عندها أجيب دعاء إبراهيم ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. ففي ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ صدر دعاء: "ربنا وفِّقنا لانتخاب أحسن عمل بحسب مقتضى المحل بخصوص أداء حقوق الله وحقوق العباد". فقد ركز القرآن الكريم كثيرا على أن لتعليم القرآن الكريم جوانبَ شتى، أي لكل حكم أعطاه القرآن الكريم جوانبُ شتى. فاتخذوا العمل بحسب الجانب الذي يناسب المحل ويناسب كفاءاتكم. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أن بعض الناس يتخذون في عبادتهم أسلوبَ المجاهدة بما يفوقُ قدرتهم، حيث يصومون مدة طويلة، أو يقلِّلون النوم كثيرا، مع أن أجسامهم لا تطيق ذلك. لكن ذلك لا يقرِّبهم إلى الله ﷻ، بل يسوقهم هذا السلوك إلى الجنون أو الإصابة ببعض الأمراض، حيث يصاب البعض بالسل وغيره من الأمراض.

فالدعاء الذي عُلِّمناه هنا هو ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي علِّمنا العبادات المناسبة لكل قوم وكل عصر وكل فرد من كل قوم في كل عصر، وعلِّمنا الأساليبَ المناسبة لأداء حقوق الله وحقوقِ العباد، لكي نُحفظ من كل أنواع المرض والضعف والعثار والكآبة، وننال قربك.

لقد لفت القرآن الكريم أنظارنا بإصرار وتركيز وكثرة على اتخاذ الأحسن، أي الجانب الأفضل. فقال مثلا: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فعند تبادل الأفكار ينبغي أن تتخذوا أحسن أي أفضل جانب. فهناك شخص يستعد لسماع القول بحب، فلا تخيفوه. ففي حين يظن الخصم أنني إذا حرضتُ خصمي على الفساد فسوف يتضرر، وأنا أستفيد من ذلك، عندها سيكون من الواجب على كل أحمدي أن يبذل قصارى جهوده للحفاظ على السلام بحسب هذا الأمر القرآني. ويتخذ الأسلوب الوارد في ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لكيلا يختل السلام، فقد أشار الله ﷻ في أوامر كثيرة إلى أن هناك أساليب شتى للعمل بأمر واحد، فاتخِذوا الأحسن منها. مبدئيا قال الله ﷻ. ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ (الزمر: ٥٦)

أي قد أنزلت إليكم الشريعة الكاملة أي القرآن الكريم، وأُمرتم ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ﴾. إن ربكم الذي يريد أن يربّيكم قد أنزل إليكم بمقتضى هذه الصفة شريعةً لها جوانب مختلفة، وربوبيةُ كل فرد وقوم وعصر تقتضي أن يتم العمل بها من كل هذه الجوانب. فهذا الأمر يشمل كل جانب. أي أن نزول هذه الشريعة من رب كريم لذا هي محفوظة إلى يوم القيامة، فاتبِعوا أحسن الطرق، واعملوا بكل حكم بأسلوب أحسن يناسبكم، ويناسب العصر، ويؤدي إلى تنمية قواكم وكفاءاتكم على الوجه صحيح.

كذلك قال الله ﷻ في آية أخرى، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر: ١٨-١٩) أي عبادي

الذين يستمعون إلى "القول" أي هذه الشريعة المثلى، فيتبعون أحسنه، أي يتبعون أحسن الأوامر التي تُقرأ عليهم، فبشِّرهم أن ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أي سوف يهيء الله لهم وسائل الهداية وأنهم سيعدُّون من أولي الألباب. ففي هذا أُخبرنا أن الله ﷻ قد عدَّ مثل هذا الإنسان من أولي الألباب ووهب له العقل لكي يستخدمه في العمل بأوامر الشريعة الإسلامية، ويوظف عقله ويعرف المحل اللازم لهذا الاستخدام. فمثلا إذا حاور أحدا، فعليه أن يتعرف إلى نفسيته، ثم يحكم بعقله أنه إذا تكلم معه بالأسلوب الفلاني فسوف يؤثر في مخاطَبه.

فهنا قد بشَّر الله ﷻ -بكل وضوح- عبادَه الذين يستمعون إلى شريعة القرآن الكريم ويعملون بأحسنها. فالبشارة لم تصدر بحق الذين يستمعون إلى القرآن الكريم ولا يوظِّفون عقولهم ويتخذون جانبا آخر بدلا من "أحسن". فلم يبشِّرهم الله في القرآن الكريم بالهداية. فأحد المعاني هنا أن عبادي الذين يستمعون "القول" فيتبعون أحسنه، ستكون عاقبتهم حسنة، أما الذين لا يقومون بذلك فلن يكون لهم حسن المصير.

الهدف الثاني والعشرون قد ورد في ﴿تُبْ عَلَيْنَا﴾ وفي ذلك ورد على سبيل الإشارة أن الشريعة الأخيرة التي ستنزل هنا، ستكون لها علاقة وثيقة بالرب التواب، وأتباعها سيدركون هذه الحقيقة الأساسية، بأن الفوز بمعرفة الله ورضوانه دون التوبة والاستغفار مستحيل. ومن ناحية أخرى

سيقدمون في سبيله ﷻ تضحياتٍ متكررة متتالية، ففي الوقت نفسه سينالون القوة بالاستغفار المتكرر، وأنهم سينيبون إليه توابين. ولن يَعدُّوا جهودهم ومجاهداتهم وتضحياتهم خالية من الخلل والنقص والخطأ.

﴿تَابَ اللهُ عَلَيْه﴾ تعني قبِل توبته منه، أي قد تقبَّل الله توبة التائب. والدعاء هنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾. وأُخبرنا أن تلك الأمة ستدرك الحقيقة التي تكمن في التوبة والاستغفار بوجه صحيح، وأنهم سيُعطَون شريعة تبيِّن لهم كل هذه الأمور.

في الشرع والمصطلح الإسلامي تتضمن التوبة أربعة أمور:

١- ترك الذنب، فالذي عنده عادة الكذب يرتكب ذنبا، والتوبة أن يترك الكذب. هذا أحد جوانبه.

٢- أن يندم على صدور الذنب. من المعلوم أن كل إنسان لا يكذب في كل حين وآن، فمثلا هناك شخص لم يكذب لمدة طويلة أي لم يكذب لستة أشهر مثلا، فقد ترك الذنب خلال ستة أشهر هذه، إلا أنه لم يتبْ في الحقيقة، لأن من معاني التوبة أن يندم أيضا إلى جانب ترك الذنب.

٣- أن يعقد العزم على أنه لن يعود إلى هذا الذنب، ويترك الذنب بعزيمة تامة.

يمكن تدارك بعض الذنوب، فمثلا إذا كان أحد قد أكل ١٠٠ روبية لشخص ما، فلن تعني توبته أنه حقا تاب بمعنى أنه لن يأكل مال أحد في المستقبل، مع الإحساس بالندم والعزيمة على أنه لن يعود إلى ذلك الذنب، ثم لا يعيد المئة روبية تلك التي اغتصبها من أحدهم رغم قدرته

على ذلك، إذ ليس فقيرا لدرجة أنه لا يستطيع أن يعيدها لصاحبها فهذا الفعل لا يعد توبة.

فلإنجاز هذه الأمور الأربعة من الضروري أن نطلب القوة من خالقنا، لأن ترك الذنب يستحيل دون الفوز بالقوة من الله ﷻ. فنشوء الإحساس بالندم على ارتكاب الذنب دون أن يوفِّق الله ﷻ المرء مستحيل. أما العزم فكيف يمكن أن يجد الإنسان في نفسه همة الادعاء بأنه يقدر على عقد العزيمة دون الحصول على القوة من الله ودون الاستعانة بالله على أنه لن يرتكب أي ذنب في المستقبل! هذا أيضا يتطلب التوفيقَ من الله، والتداركَ قدر المستطاع، هو الآخر يقتضي الاستنجاد بالله ﷻ.

يمكن الفوز بهذه القوى والقدرات بالاستغفار. فعبد الله ﷻ يؤمن بأن ربه هو مصدر كل قوة وطاقة ولا يجد في نفسه أي قدرة أو قوة. لذا قبل أن يبدأ أي عمل يعود إلى ربه ﷻ ويستغفره، ويقول لربه يا إلهي، أنت منبع كل طاقة ومصدر كل قوة، هبْ لي القوى والقدرات والمواهب التي أتمكن بها من ترك السيئات نهائيا، وأَثبت على الحسنات في الحقيقة. فالتوبة بهذا المعنى مسبوقة بالاستغفار. فالتوبة إذن دون الاستغفار مستحيلة، لقد سلط حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام الضوء بالتفصيل على هذا الموضوع، يقول حضرته عليه السلام:

"التوبة والاستغفار أمران مهمّان. ويفوق الاستغفارُ التوبةَ من وجهٍ، لأن الاستغفار هو الاستعانة والاستمداد من الله تعالى، والتوبة هي

وقوف الإنسان على قدميه. ومن سنة الله أنه إذا استعان به الإنسان وهب له قوة يقوم بها على قدميه، وبالتالي يتمتع بقوة لكسب الحسنات، الأمر الذي سُمِّي "توبوا إلى الله" في الآية القرآنية. وهذا هو الترتيب الطبيعي أيضا. فقد وضع الله تعالى فيها طريقا للسالكين وهي أن يستعين السالك بالله دوما، فإن لم يستمد منه طاقة وقوة فماذا إذن بوسعه أن يفعل؟ يوفَّق الإنسان للتوبة بعد الاستغفار. والتوبة تفقد قوتها إن لم يكن معها الاستغفار. فإذا استغفرتم بهذه الطريقة ثم قمتم بالتوبة فلا بد أن تحصلوا على النتيجة وهي: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. هذه هي سنة الله المستمرة؛ لو استغفرتم ثم تبتم إلى الله لنلتم مراتبكم. فلكل شخص دائرة ينال مدارج التقدم ضمنها. (الملفوظات، مجلد٢ ص ٥٨-٦٩ الحكم ج٦ عدد ٢٦ بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٠٢ ص١٠)

فقد قال حضرته: أحرزوا المعالي الروحانية قدر المستطاع بالاستغفار والتوبة ضمن نطاق قدراتكم.

وقال في موضع آخر:

"فالواضح من كل هذا التفصيل أن المعنى الأصلي للاستغفار أنه ليس لأنا قد فوَّتْنا حقًّا، بل يكون منشؤه أمنية ألا نفوِّت أي حق. وأن فطرة الإنسان تطلب قوة من الله تعالى نظرا إلى ضعفها... وتشير إلى أن الإنسان لا يبلغ أسمى مقام أي العصمة ومرتبة الشفاعة إلا إذا استمر في الدعاء في كل حين وآن لوضعِ حدٍ لنقاط ضعفه والدعاء لإنقاذ

الآخرين من سم الذنوب، وجلب قوة الله بالتضرعات، وتمنيه أن ينال الآخرون أيضا الذين يرتبطون به برباط الإيمان نصيبا من هذه القوة. إن الإنسان المعصوم بحاجة إلى طلب القوة من الله تعالى لأنه ليس في فطرته كمال ذاتي، بل تناله من الله تعالى دائما، ولا تملك قوة في نفسها بل تنالها من الله كل حين وآن، وليس في ذاتها نور كامل بل ينزل عليها النور من الله تعالى. والسر في ذلك أن الفطرة الكاملة تُعطَى جذبا لتجذب القوة العليا إلى نفسها. ولكن مصدر القوة كلها هو الله تعالى وحده، ومن هذا المصدر يستمد الملائكة أيضا قوة لأنفسهم، وكذلك الإنسان الكامل أيضا يستمد قوة العصمة والفضل من مصدر القوة نفسه بواسطة أنبوب العبودية.. فما هو الاستغفار؟ إن مَثله كمثل آلة تنزل القوة بواسطتها. إن جميع أسرار التوحيد مرتبطة بأصل ألا يعتبر الإنسان العصمة حكرا على نفسه بل عليه أن يعتبر الله وحده مصدرا للحصول عليها." (مجلة مقارنة الأديان بالأردية، مجلد١ ص ١٨٩-١٩٠)

حين ينال المرء حماية الله وينال القوة منه ﷻ يوفَّق للتوبة، وعندها تُقبل توبتُه عند الله، ولذلك قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

فانهضوا وتوبوا، وأرضُوا مالك ناصيتكم بالأعمال الصالحة. واعلموا أن العقوبة على الأخطاء العقدية تترتّب بعد الممات، وأن الحكم في كون أحد هندوسيًّا أو مسيحيًّا أو مسلمًا سيصدر يوم القيامة، ولكن الذي يتجاوز الحدود في الظلم والاعتداء والفسق والفجور يُعاقَب في هذه الدنيا، ولا يستطيع أن يفر من الله تعالى بحال من الأحوال. فأرضُوا

ربكم سريعا، وتصالحوا معه قبل أن يأتي يوم مروّع (أي يوم شدة الطاعون) الذي أنبأ به الأنبياء. إنه ﷻ كريم للغاية ويستطيع أن يغفر الذنوب وإن كانت ممتدة على سبعين عاماً نتيجة توبةٍ تذيب القلب في لحظةٍ واحدة. لا تقولوا إن التوبة لا تُقبل. اعلموا يقينا أنكم لن تنجوا بأعمالكم قط، بل المنجّي هو فضل الله تعالى وليست الأعمال.

فيا إلهي الكريم الرحيم، ارحمنا جميعا فإننا عبادك المرتمون على عتباتك، آمين." (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية ج٢٠ ص ١٧٤)

اليوم كنت أعاني الحر، وأتألم منه وهنا في المسجد أيضا حر شديد، والإخوة أيضا سيتضايقون من الخطبة الطويلة لذا أكتفي اليوم بهذا، وبقية الموضوع سأتناولها في الخطبة التالية بتوفيق الله وفضله ﷻ.

(نقلا عن جريدة "الفضل" الصادرة في ربوة، بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨)

لقد تحققت جميع الأهداف
من بناء بيت الله
بواسطة بعثة الرسول الكريم ﷺ

❁❁❁❁❁

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة الخليفة الثالث رحمه الله

في المسجد المبارك، بربوة

بتاريخ ١٦/٠٦/١٩٦٧

"يريد الله ﷻ أن يفهم كبار القوم وشبابهم ورجالهم ونساؤهم الحكمة الإلهية التي لها علاقة بأساس الكعبة، لكي يُعدوا عند الله من أولي الألباب، ويحرزوا الكفاءة لفهم ندائه وأوامره وحكمتها، ولكي ينضموا إلى حزب القديسين الذين تنزل عليهم أفضال الله ﷻ كل حين وآن بانتظام."

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يوم الأمس عانيت طول اليوم تقريباً من وجع الرأس الشديد، وأشعر الآن ضعفا شديدا، لكنني أريد أن أتابع سلسلة الخطب التي بدأتها لبيان ٢٣ هدفا من بناء الكعبة، وأود أن أعبر عن أفكاري في خطبة اليوم عن الهدف الأخير وهو الثالث والعشرون.

الهدف الثالث والعشرون لبناء بيت الله ﷻ قد ورد في آية: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٠) وأخبرتْنا هذه الآية أنه سيُبعث هنا نبي يبقى حيًّا إلى يوم القيامة، وبسبب فيوضه وإفاضته الروحانية لن يرِد عليه الموت أبدًا، وستوهب له حياة أبدية، وسوف يعطى شريعةً لن تنسخ بل ستدوم إلى الأبد، لأنها ستكون "الكتاب" (أي الشريعة الكاملة) وسوف تُخلق أمة تقوم على بصيرة، وسوف تعلَّم الحكمة، وتوهب لها الأدلة، وستكون لها علاقة بالإله الحي والرسول الحي والشريعة الحية.

وهذا الهدف أيضا تحقق من خلال بعثة النبي ﷺ كما أعلن بذلك القرآن الكريم نفسه، وسوف ألقي الضوء على ذلك الآن، يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

انظروا! كان إبراهيم عليه السلام أيضا دعا أن يكون من ذريته نبيٌّ في العرب، فهل تُقُبِّل دعاؤه فورا، كلا بل بعد إبراهيم عليه السلام لم يخطر ببال أحد لمدة طويلة ما الذي نتج عن ذلك الدعاء، لكنه أجيب بشأن عجيب إذ قد أجيب في صورة بعثة رسول الله ﷺ. (الملفوظات، مجلد ٤، ص ٤٢ الحكم مجلد ٧ عدد ٨ بتاريخ ١٩٠٣/٢/٢٨)

في هذه الآية ذُكرت خمسة أمور:

١- ظهور العبد الكامل

٢- سلسلة غير منتهية للآيات البينات

٣- نزول الشريعة الكاملة ودوامُها إلى يوم القيامة

٤- بيان أحكام الشريعة

٥- ستظل بواسطته تظهر جماعة القديسين

في عدة آيات من القرآن الكريم جاءت الدعوى أن النبي الكريم ﷺ بُعث نتيجة أدعية إبراهيم عليه السلام. والآن أود أن أقرأ عليكم بعض الآيات من سورة النمل، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٢-٩٤)

حين ندرس الموضوع الذي ورد في الآية السابقة أي ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وبحسب السياق وتبديل الضمير بالاسم الظاهر، نفهم معناه

أن مدلول دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو يا ربَّ إبراهيم وإسماعيل اللذين أمرتَهما بتجديد بناء الكعبة، وأعلنتَ حرمة بيتك الحرام، اِبعثْ روحا عظيمة من سكان هذا البيت الحرام، وخُصَّها بربوبيتك واجعلها مصطفاةً ومجتباةً وأكرمها بمنتهى قربك، وأعطها شريعة كاملة وشاملة وأرسلها إلى العالم بصفتها رسولك والمقتدى الكامل. لكي يدعو الناس إلى الله رب العالمين، ويقيمهم على التوحيد الخالص. فقد قبِل الله ﷻ هذا الدعاء، وأمر النبيَّ الكريم ﷺ بأن يعلن في العالم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ (النمل: ٩٢) أي قد قُبل دعاءُ إبراهيم وإسماعيل، وأَمرني ربُّ العالمين أن أوصل عبادة رب هذا البلد الحرام ورب بيت الله هذا إلى الكمال. وأَظهر في صورة العبد الكامل، وأنادي بني البشر إلى الله رب الكعبة ورب البلد الحرام، إلى الذي ﴿لَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ والذي هو صاحب القدرات الكاملة والمتصف بجميع الأسماء الحسنى، وهو يفعل ما يريد، ولا يَثبت أمامه أي قوة مادية. وأُمرت أن أكون من حزب المسلمين، وأُظهر في العالم نموذج الإنسان الكامل. باختصار لقد أجرى الله ﷻ على لسان إبراهيم ونسله دعاءً سجَّله القرآن الكريم. وهنا أُمر النبي ﷺ أن يعلن في العالم أنه أُمر بعبادة رب البلد الحرام هذا. وإنني اليوم أقوم لهداية العالم نتيجة أدعية إبراهيم.

الأمر الثاني والثالث والرابع الذي ورد هنا هو ﴿يَتْلُو .. الْحِكْمَةَ﴾ أي سيظهر العبد الكامل وبظهور العبد الكامل سيبدأ العالم بمشاهدة آياتٍ بينات لا حصر لها. فسوف يعلِّم "الكتاب" والأوامر التي سيبينها من هذا

الكتاب الكامل والشامل سوف يخبر حكمتها أيضا. لاحِظوا أن ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ تشمل كل هذه الأمور الثلاثة. أي بيان الآيات وتعليم الكتاب وإلقاء الضوء بالتفصيل على الحكمة والأوجه. فكل هذه الأمور الثلاثة الواردة في هذا الدعاء، تتوفر في ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾، لأن كلمة "التلاوة" في تعبير القرآن الكريم تفيد بيان الآيات وتعلُّمها وتعليمها والتأثر بها، والعيش بحسبها أيضا. وتُطلق على قراءة الكتاب وحكمتِه وقراءته على أحدٍ، والعمل به ودعوة الآخرين أيضا للعمل به. فقد ورد في مفردات الإمام الراغب: "والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب."

أي التلاوة تختص ببيان المعنى أن تُتَّبع الكتب النازلة من السماء. وهذا الاتباع على وجهين، أي بالقراءة والعمل بالأوامر (أي أن التسليم بالأحكام والعمل بما ورد فيها من الأوامر والنواهي تندرج في "التلاوة"). وأن يُقبل تأثير ذلك الكتاب الذي يريده من خلال الترغيب والترهيب، أي التأثُّر بما ورد فيه من الحِكم، وهذا المعنى تشمله التلاوةُ.

لقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: ٣)، أي المؤمنون هم مَن حين تُقرأ عليهم الآيات السماوية يزدادون إيمانا. إنني هنا أشرح أن كلمة التلاوة وردت في التعبير القرآني الكريم بحق الآيات أيضا، وكذلك وردت كلمة التلاوة بمعنى قراءة الكتاب والعمل بما ورد فيه، وتقديم الأسوة في العالم أيضا، كما قد قال الله ﷻ: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، أي اِقرأ

ما يوحى إليك (وكان الوحي جاريا آنذاك) من كتاب ربك، أي اعملْ به واقرأْه، (فإن ما يقرأه الإنسان فإنما يقرأ ليُسمِع الآخرين ونفسَه أيضا. ولما كان رسول الله ﷺ أول مخاطب له لذا سيكون المعنى: أن تكون مثلا يحتذى نتيجة عملك به). لقد قال القرآن الكريم عن الأنبياء دوما إن كل واحد منهم كان يعلن وينادي ﴿أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي أنا أول مَن يعمل بهذه الأوامر والنواهي، وأنا أضع رقبتي تحت حكم الله ﷻ وأقدِّم لكم نموذجا في ذلك بصفتي قائدا. فلا أقول لكم: إن هذا الصراط يوصل إلى الله فاسلكوه، وإنما أقول: إن هذا الطريق يؤدي إلى الله وأنا أسير عليه فاتبِعوني لكي تصِلوا أنتم أيضا إلى الله. فكلمة التلاوة تشمل عند الإمام الراغب اتباعَه بالعلم والعمل. فالاتباع بالعلم هو بيان أمور الحكمة. أما الاتباع بالعمل فبالعيش بحسب هذه الأمور. باختصار قد أمر الله ﷻ هنا النبيَّ ﷺ أن يعلن ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ أي قد أمرني الله تعالى أن أقرأ عليكم هذا القرآن. فقد استخدم القرآن الكريم بنفسه لفظ "القرآن" بمعنى الآيات، إذ قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَات﴾ أي هذه آيات بينات. ومن هذا المنطلق سيكون معنى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ أن أقرأ عليكم آياتٍ بينات. وكذلك قد أعلن القرآن الكريم أنه شريعة كاملة، ومن ثم سيكون معنى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ أن الله قد أمرني أن أعرض عليكم الشريعة الكاملة في صورة كتاب وفي صورة ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أيضا، لأنه حين سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ قالت اقْرأ القرآن، "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن".

فكان الدعاء أن ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ أي يقدم ذلك النبيُّ آياتٍ بينات إلى العالم باستمرار. وقال النبي ﷺ إن هذا الدعاء قد تُقبِّل، وإنني أتلو القرآن وأعرض على العالم آياتِ القرآن البينات بأمْر من الله.

فكان الدعاء ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ وقال النبي ﷺ أتلو القرآن، أي إنني أعرض الشريعة الكاملة على العالم بسبب قبول هذا الدعاء.

ثم كان الدعاء أن يعلِّم كلام الحكمة. وقال النبي ﷺ أتلو القرآن، أي أنني أعرض على العالم هذا القرآن الزاخر بالحكمة والموصوف بأنه ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾. فنتيجة لقبول هذه الدعوات الثلاثة أجرى على لسان النبي ﷺ جملةً مركبة من كلمتين وأشار إلى الأمور الثلاثة. والقاموس أيضا يصدِّق هذا المعنى.

الأمر الرابع كان ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾، فقال النبي ﷺ مقابل يزكيهم في هذه الآيات، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي قد قدم للعالم مفهوما زائدا على دعاء إبراهيم عليه السلام. فقد أعلن في ﴿مَنِ اهْتَدَى﴾ أني قد جئتكم بجميع وسائل تزكية النفس، لذا قد أجيب دعاء "يُزَكِّيهِمْ"، لكنني أخبركم أن تزكيتكم للنفس لن تتم إكراها، كلا بل لتزكية النفس وسائل أقدمها لكم.

﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ الآن ستزكُّون أنفسكم شخصيا بالمجاهدة وتقديم القرابين وبفداء أرواحكم بإظهار النية الصادقة. فقد أحضرتُ الوسائل ولن تُفرض عليكم التزكية إكراها، بل هناك حرية الضمير، ووسائل التزكية. واستخدامكم لها والاستفادة منها والفوز بقرب

الله وإحراز الطهارة نتيجة لذلك، يتطلب منكم الجهود والمساعي. إذ لن تزكّيكم أي قوة عليا ولن يزكيكم غيركُم قسرا، إذ لا يقدر على ذلك، ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي قد جاءتكم وسائل الهدى والتزكّي. فالذي سيبحث لنفسه عن طريق الهداية مستغلا متاع التزكية، فهو ينفع نفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي الذي لا يستفيد من وسائل التزكية ولا يلتفت إلى سبل الهداية بل يسير على طرق الضلال، وبدلا من اتباع خالقه يتوجه إلى الشيطان ويتبعه، فإنني أخبره أنه لن يُكره على ترك هذا الضلال أيضا. ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي إنما أنا رسول منذر، وصحيح أني أكْبركم، وأفْضلكم وأعلاكم، وأقربكم إلى الله إلا أنني لستُ أكثر من منذر. فلن أُكرهكم على شيء، ولن أصرفكم جبرا عن سبل الضلالة، ولن آتي بكم قسرا إلى سبل الرشد. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي أن الحمد كله لله وحده الذي هيأ في الإسلام آياتٍ بينات والكتاب والحكمة ووسائل التزكية، وبعث رسولا قدم للعالم أسوة كاملة، والذي باتباعه يحظى الإنسان بحب ربه، ويرث إنعاماته. الحمد لله، أي الله ﷻ يستحق المحامد كلها، فذلك الإله سيُظهر آياته البينات من جديد في النشأة الثانية للإسلام وعلومَ القرآن الكريم، كما قال: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وسوف يبين حِكمها، وسوف يخلق وسائل يسْهل بها السيرُ على سبل الدين على العالم. والناس سوف يقدمون التضحيات لربهم بانبساط وانشراح القلب. وعند إكمال نشر الدين أي في عصر النشأة الثانية سيأتي عالَم بأسره في حضن النبي ﷺ وتحت ظل رحمته. وعندها

ستتحقق وعود الله ﷻ التي قطعها في البداية أن جميع بني البشر سيُجعلون أمة واحدة حبيبة الله.

باختصار، ذكرت خمسة أمور في هذه الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، فأحد الأهداف التي تضمنها هذا الدعاء كان أن يُبعث فيهم رسولٌ له كذا من الصفات المذكورة هنا، والذي يكون أسوةً حسنة كاملة، ويستمر بواسطته الفيض الروحاني على الدوام.

وثانيا: أن يفوز العالم بسلسلة آياتٍ بينات لا تنقطع.

ثالثا: أن تكون هناك شريعة كاملة لا يتطرق إليها أي فساد أو خلل إلى يوم القيامة.

رابعا: أن يُطلع العالم على أمور الحكمة ويشرح لهم بالدليل أن هذا الحكم يصدر بسبب كذا، حين يكون العقل الإنساني قد بلغ قمته وكماله.

خامسا: أن يقوم بتزكية نفوسهم نتيجة لذلك.

والحق أن تزكية النفوس تستحيل دون آيات بينات وأوامر الشريعة التي وُضِّحت وذكرتْ حِكمُها. وكان المقصد الأصلي أن تتحقق الغاية المتوخاة من خلق أمة محمد وإنشائها. والذي يعدّ النبي الكريم ﷺ أسوة حسنة ويتبعه ويستفيد من آيات بينات، ويتلقى علوم أوامر الشريعة الكاملة ونواهيها، ويطلع على حِكمها، ويعمل بها، سوف يحرز التزكية، فهذا الشخص وهذه الأمة هم مَن قيل بحقهم في البداية ﴿وُضِعَ لِلنَّاس﴾. وكان قد قال ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فكانت هذه الآيات قد بدأت من ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... لِلنَّاسِ﴾ وذُكرتْ نهايتُها في ﴿رَبَّنَا... رسُولًا

مِنْهُمْ﴾. والحقيقة أنه بدون الأمور الواردة في ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يستحيل تحقُّق الأهداف الاثنان والعشرون الواردة في هذه الآيات والتي قد سلطتُ عليها الضوء قليلا. لا يمكن أن تكون الأمة المسلمة خيرَ أمة ما لم تتحقق تلك الأهداف. وعن كون القرآن الكريم "الكتاب" وبيان القرآن الكريم لحِكم الشريعة أود أن أقرأ على مسامعكم مقتبسَين من كلام المسيح الموعود عليه السلام. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"لا يوجد على وجه الأرض اليوم – من الكتب الموحى بها– كتاب يثبت أنه كلام الله تعالى بالأدلة القاطعة إلا الفرقان المجيد،.. والذي معتقداته كاملة ومُحكَمة بحيث تشهد البراهين القوية على صدقها، وأوامره قائمة على الحق المحض، .. وميزته الفريدة أنه .. لا يريد أن يَفرض على أحد أي معتقدٍ قهرا بل يبين أدلة صدق تعاليمه أولا، ويثبت كل مطلب وهدف بالحجج والبراهين، ويبين بأدلة واضحة صدق كل مبدأ بوضوح تام، ويوصل إلى مرتبة اليقين الكامل والمعرفة التامة، ويزيل بالبراهين الساطعة كل المساوئ والشوائب والمثالب وأنواع الخلل التي تسرَّبت إلى معتقدات الناس وأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، ويعلّم جميع الآداب التي لا بد للمرء من تعلُّمها ليكون إنسانا على وجه الحقيقة، ويدفع كل فساد بالقوة نفسها التي انتشر بها في الأيام الراهنة. إن تعليمه مستقيم وقوي وسليم تماما." (البراهين الأحمدية الجزء الثاني الخزائن الروحانية ج١ ص ٨١-٨٢)

كذلك قد قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"المعارف الدقيقة نفسها التي سميت في الفرقان المجيد بالحكمة كما قال ﷻ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي أن الحكمة تشمل خيرا كثيرا، ومن نال الحكمة فقد نال خيرا كثيرا. فهذه العلوم والمعارف التي تُسمَّى بتعبير آخر بالحكمة، تُعطى لأتباع كلام الله كالبحر المحيط لكونها تشمل خيرا كثيرا. ويُودَع فكرُهم ونظرهم بركةً، فتنعكس في نفوسهم – التي هي كالمرآة– الحقائقُ الحقة من الدرجة العليا باستمرار، وتنكشف عليهم الحقائق الكاملة." (البراهين الأحمدية الجزء الرابع الخزائن الروحانية ج ١ ص ٤٤٥ الحاشية على الحاشية رقم ٣)

باختصار هذه الأهداف الثلاثة والعشرون لها علاقة ببناء بيت الله من جديد. وطرأت الحاجة إلى بيانها، حيث لفت الله ﷻ ذات يوم انتباهي بشدة إلى أن إحراز تربية صحيحة للجيل المعاصر الذي يمكن أن يعدّ جيلا ثالثا للأحمدية غايةٌ في الأهمية. أي إن لم نربِّ الأحمديين– الذين أعمارهم إلى ٢٥ سنة أو الذين لم تمض على بيعتهم ١٥ سنة– تربية صحيحة، فسوف تنشأ عراقيل كثيرة في طريق الفوز بتلك الأهداف، التي من أجل تحقيقها قد بَعث الله ﷻ المسيح الموعود عليه السلام في العالم في صورة "**جري الله في حلل الأنبياء**"، والتي من أجل تحقيقها قد أقام الله ﷻ الجماعة الأحمدية. ثم لفت الله ﷻ انتباهي إلى أن الطرق التي ينبغي اتخاذُها لتربية هذه الجماعة، قد ذُكرت في هذه الآيات التي ألقيتُ الخطب حولها. وإذا تم إدراك هذه الأهداف بوجه صحيح وصدر السعي لتحقيقها بفضل الله ورحمته فسوف يقدر هذا الجيل بعد تلقِّي التربية الصحيحة على إنجاز المسؤوليات التي ستقع

على كواهله عن قريب. لأن انتباهي كان قد صُرف إلى أن الـ ٢٠ أو ٢٥ سنة قادمة مهمة جدًّا للنشأة الثانية للإسلام وهي تتسم بانقلاب، وسوف تُخلق فيها وسائل عظيمة لغلبة الإسلام، والعالم سيدخل في الإسلام بكثرة، أو سيلتفت إلى الإسلام. في ذلك العصر ستكون الجماعة بحاجة إلى المربين والدعاة بالكثرة نفسها. ومن أين ستأتي الجماعة بأولئك المربين والدعاة، إن لم تُولِ هذا الموضوع اهتماما خاصًّا اليوم. لذا اهتموا بهذا وضعوا الأهداف الواردة في هذه الآيات نصب أعينكم. وهيئوا لشبابكم في ضوء كلام الله المقدس، التربيةَ التي يتطلبها تحقيق هذه الأهداف لكي يتوفر فيهم المربون والدعاة وواقفوا الحياة بكثرة عند طروء الحاجة. لكي يتحقق الهدف المتمثل في جمع بني نوع البشر كلهم على دين واحد.

خلال هذه الخطب، كتب إلي أحد الصلحاء أن الخطب التي تلقيها لها علاقة بإلهام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الوارد في الصفحة ٨٠١ من التذكرة، وتعريبه: إن الذي يُدرك أن أساس الكعبة مبني على حكمة إلهية لَذكيٌّ جدًا لأن له نصيبًا من أسرار الملكوت.

لذا أعتقد أن الله بلفت انتباهي إلى هذا الأمر يريد أن يدرك كبارُ القوم وشبابُهم ورجالُهم ونساؤهم هذه الحكمة الإلهية- التي لها علاقة بأساس الكعبة- لكي يُعدّوا عند الله من أولي الألباب، ويحرزوا الصلاحية لفهم ندائه وأحكامه وحكمتها، وينضمُّوا إلى حزب القدوسيين، الذين تنزل عليهم أفضال الله سبحانه وتعالى كل حين وآن. صحيح أن المشروع الذي سأعرضه على الجماعة يهدف في الحقيقة إلى تربية الشباب الذين أعمارهم إلى الآن

٢٥ سنة إذا كانوا وُلدوا أحمديين، أو مضت على مبايعتهم ١٥ سنة إذا كانوا قد بايَعوا جديدا. لكنه لتربية هؤلاء الأولاد لا بد من تربية كبارهم، لكي يتمكنوا من تربية هذا الجيل الجديد. إذًا إن خطابي بدرجة ثانية موجَّه إلى جميع أفراد الجماعة ذكورا وإناثا، الذين أعمارهم الآن فوق ٢٥ سنة، لأن تربية مئات الألوف من الشباب الذين أعمارهم أقل من ٢٥ سنة أو بحساب آخر أقل من ١٥ سنة، تتعذر عليَّ وحدي أو بعض رفقائي. فلن نجد بدًّا من تطهير كل بيت، لكي يكون كل من يتربى في كل بيت جنديا لله ﷻ وينال رضاه. سيكون من الواجب علينا أن نهيء وسائل الطهارة في كل حارة وفي كل بلدة وفي كل مدينة، لكي ينشأ في هذا المحيط جيلٌ يضحي أفرادُه بأرواحهم وأوقاتهم وشرفهم وأموالهم من أجل كرامة سيدنا محمد رسول الله ﷺ وشرفه.

لعله ينبغي عليّ أن أقول: يجب أن نربِّي الكبار أولا، لكي نتمكن بهم من تربية هؤلاء الصغار الذين ستقع عليهم مسؤوليات جسيمة غاية في الأهمية في القريب العاجل. تذكَّروا أننا إذا تغافلنا عن هذا وقصَّرنا فيه فسوف ينزل علينا غضب الله، ويُخلق قوم يرثون وعودَ الله ﷻ. فاهتموا بأرواحكم واستعدُّوا لإنجاز المسؤوليات التي سألقيها عليكم قريبا بحسب خطة ومشيئة الله ﷻ، والتي سأعرب عن أفكاري عنها في الخطب القادمة إن شاء الله وبتوفيقه فقط.

(نقلا من جريدة الفضل اليومية الصادرة في ربوة عدد ١٩٦٧/٦/٢٥)

❁❁❁❁❁